

مقالات في
التربية والمجتمع

تأليف

محمد الرابع الحسنى الندوى

المجمع الإسلامى العلمى

ص ب ۱۱۹ لکناؤ (الهند)

من مطبوعات المجمع الإسلامي العلمي

رقم ٢٧٥

الطبعة الثانية

مزيدة منقحة

١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م

حقوق الطبع محفوظة

المجمع العلمي الإسلامي

ص.ب. ١١٩ كنفاء (الهند)

كلمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد !

فإن الإنسان يفضل على البهائم بالعقل الذى رزقه ربه وخالقه ، ولم
يرزق البهائم هذا العقل، فبالعقل يرتب الإنسان شؤون حياته وينظمها
ويديرها ، ولا تستطيع البهائم أن تأتى بذلك لأنها تفقد الآلة التى تساعدها
على كل ذلك .

ولكن التجارب أثبتت أن العقل وحده لا يملأ الفراغ الذى يميز
الإنسان عن البهيمة ، ويجعله أفضل منها وأقوى تنسيقاً وترقية لحياته ، بل
إن هناك وسيلة أقوى هى تساعد الإنسان فى أن يكون إنساناً ، وترفعه على
غيره من أنواع الحيوانات، وهى صلاحية الإنسان لقبول المعلومات التى
يلقنها إياها من يكون أكثر منه معرفة للأحوال وأوفر منه تجارب فى الحياة ،
ويتلقاها ممن يشاهدهم ويراهم أنهم يعملون عملاً يفيدهم ، أو أمراً يحتاجون
إليه ، أو يختارون أسلوباً من أساليب العيش فردياً أو جماعياً.

وإن حصول الإنسان على معلومات تنفعه وتزيده قوة ومعرفة
للحياة ولما خفى على نظره من حقائق الكون والحياة والإنسان إنما يكون
بطريقتين : طريقة التلقين وطريقة المحاكاة ، أما عمل المحاكاة فهو من أقوى
أسباب معرفة الإنسان للأحوال التى تنفعه أو تضره ، وبها يحصل له زاد

العلم، والمحاكاة تكون في البيت لما يراه فيه الطفل الناشئ ولما تقوم به أمه ويقوم به والده من سلوك وعمل ، وتكون في المحلة التي يلعب فيها الطفل مع جيرانه ، وتكون في المجتمع الذي يجد الطفل نفسه جزءاً منه، ولقد تزود الناس بمعلومات حياتهم بهذا الطريق في المجتمعات القديمة ، ولا يزالون يتزودونها اليوم في البوادي والقرى والمناطق النائية عن الحواضر.

ولكون وسيلة المحاكاة من أهم وسائل تلقى الإنسان للمعلومات يهتم عقلاء الناس بأن يستغلوها لتربية الأجيال الناشئة بما هو حسن وصالح ومفيد لهذه الأجيال حتى تصبح هذه الأجيال حائزة لما يتيسر لها من فضائل الإنسانية والمعارف العقلية .

ولكن أوسع وأقوى وسيلة لمعرفة الإنسان لما فيه خيره وصلاحه ورقبه وازدهاره هو تلقين الإنسان وتعليمه وإعلامه ، وذلك يكون عن طريق مراكز التعليم ووسائل الإعلام ، ولقد أصبح الناس اليوم ، وبخاصة أولئك الذين يعيشون في الحواضر يعتمدون في هذا الصدد على معاهد التعليم وعلى من يباشر فيها التعليم والتلقين ، وذلك لأنهم أصبحوا عارفين أن العلوم الكثيرة ثم إتقان معرفتها لا يكون إلا عن طريق الأساتذة الذين لا يمكن أن يجتمعوا بقدر الحاجة وبالعديد الكافي لعملية التعليم والتلقين إلا في مراكز التعليم، وقد تقدم رجال الغرب اليوم حضارياً واجتماعياً بتأثير رقي بلاده في مجال التعليم ، فهي رغم شيوع كثير من المساوئ الخلقية في حياة مجتمعاتها مترقية ومزدهرة علمياً وظاهراً في أسباب العيش الهنيئ الراقى ، وذلك بعد ما قضى الغرب قروناً في الظلام من العلم ، وفي التخلف في مسالك الحياة المختلفة ، وكان المسلمون حينذاك متفوقين في العلم والحضارة ، وقضوا

بذلك قرونا متوالية ، ثم خفت أهمية العلم والتعليم في نظرهم بسبب تكاسلهم وإهمالهم ورضاهم بالقليل وعدم طموحهم إلى ما فيه تحسين حالهم وإلى ما يناسبهم من جد واجتهاد واهتمام بالجوانب المفيدة للحياة ، ولذلك أنهم تخلفوا وضعفوا أمام الآخرين ، ذلوا وهانوا في الحياة ، وابتعدوا عن الاستقلال والقوة ، ولكن أن الأوان لفهمهم أن القوة والتقدم تقتضيان منهم أن يهتموا بالعلم والتعليم ، وذلك بمعرفة طرق هذا الفن أولا ، ثم باختيارها اختيارا لائقا مفيدا حتى يستطيعوا سد الخلل وملا الفراغ بما ينفعهم ويصلحهم ويزيدهم قوة وكرامة .

ولقد ثبت من القرآن الكريم أهمية العلم بذكر أدواته الكبرى وهى القلم ، وذلك في قوله تعالى ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ وقوله تعالى ﴿ عَمَّ بِالْقَلَمِ عَمَّ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وثبت من الحديث الشريف أهمية العلم كذلك ، وانبثقت عن عملية التعليم عملية الإعلام التى تساعد بصورة خاصة في زيادة المعلومات عن الحياة ، وذلك بعرضها لصور مؤثرة رائعة ، فهى تدخل إلى الأذهان تلقائيا ، وتجذبها إلى وجهات نظر مختلفة ، وكل أمة من الأمم العاقلة تهتم بهاتين الوسيلتين وتستغلها لأهوائها وغاياتها ، وليس المسلمون اليوم أقل حاجة إلى ذلك ، ونستعرض في الصفحات الآتية من الكتاب أسسا وجوانب من التعليم والإعلام وأثرهما على المجتمعات والأفراد وأهم طرقهما ووسائلهما .

لقد تحدثت عن هذا الموضوع بعنوان التربية و المجتمع في محاضرات لي ألقيتها باللغة الأردية أمام طلاب الدورة التربوية والدعوية التي عقدها دارالعلوم ندوة العلماء لمدة سنة في رحابها، ثم جمعت المحاضرات ونشرتها

في كتاب مختصر يبحث في التربية العامة مع الإشارة إلى ما ينسجم منها مع وجهة النظر الإسلامية. وقد تفضل سماحة الأستاذ الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي بكتابة تقديم زاد من أهمية الكتاب. فقد استحسن سماحته هذا العمل ورأى أن الاطلاع على هذا الموضوع حاجة كل عامل للدعوة والتربية في المجتمع. أشكره على ذلك وأعتبره شرفاً للمؤلف وللكتاب، وقد نال الكتاب القبول في أوساط العلم والأدب من قراء الأردية، ثم رأى بعض إخواننا الحاجة إلى نقل الكتاب إلى اللغة العربية أيضاً، فيقام الأخ الأستاذ محمد إبراهيم الردولوي الندوي والأستاذ محمد أكرم الجونفوري الندوي بهذا العمل، وقد بذل كلا الأخوين سعياً مخلصاً في التعريب ونظرت في الترجمة و قمت ببعض التغيير والزيادة ونشرنا نص الأخ الردولوي في إعداد مجلة "البعث الإسلامي" تباعاً ثم نشرنا نص الأخ الجونفوري الندوي في كتاب صدر من دار القلم بدمشق ثم أضفت إلى الكتاب زيادة في المقدمة وفصلاً في آخر الكتاب نرجوانهما سيزيدان الموضوع وضوحاً وافادة وهما في هذه الطبعة من الكتاب.

وأشكر الأخوين الفاضلين على تعريبهما للأصل، وبخاصة الأخ الجونفوري.

و أقدم تقديري وشكري إلى الأخ المحترم فضيلة الدكتور عبد الله عباس الندوي رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء، فإنه هو الذي كان اقترح على إلقاء المحاضرات في هذا الموضوع واهتم بذلك مشكوراً. وأشكر الأخ الدكتور علي أحمد الندوي والأستاذ محمد علي دولة صاحب دار القلم على بذلها عنايتهما بإصدار الطبعة الأولى.

أرجو أن ينال الكتاب من قرّاء العربية استحساناً، فإن وجدوا فيه
ما يستحسنونه فهو من فضل الله وكرمه وإذا وجدوا فيه نقصاً فهو من
مؤلفه، وأسأل الله العفو فإنه رحيم كريم.
وأسأل الله التوفيق والسداد.

محمد الرابع الحسني النوري

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

في ٢٢/رمضان المبارك سنة ١٤١٨هـ

تَقْدِيرُ
سَمَاحَةِ الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ
أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ الْحَسَنِيِّ الْبَدَوِيِّ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد، فإنه منذ عدة سنوات أقيمت في دار العلوم التابعة لندوة العلماء دورة تربية للمتخرجين ووضعت لها مقررات دراسية وذلك لمدة سنة واحدة وتحت إشراف المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، بغية تخريج الدعاة والمعلمين الذين يتربون تربية علمية ودعوية، ليقوموا بعد تخرجهم بعمل الدعوة على بصيرة ويتمرنوا أثناء دراستهم على طرق الخطابة وأساليب الكتابة، وعرض الدعوة وتفهم الدين بأسلوب حكيم يفي بمتطلبات هذا العصر. وقد استفيد في وضع هذه المقررات وفي منهجها الدراسي من الكتب والمصادر التي تلقي الأضواء الكاشفة على أساليب الدعوة وأوضاع المسلمين في العالم الإسلامي وغيره، والمجتمع المسلم والعقليات المختلفة لطبقات المسلمين ومشاكلهم وقضاياهم، والصراع العقلي والفكري الذي يعيشونه، والفوضى الخلقية والأخطار التي تواجه مستقبل هذه الأمة الإسلامية، ويقوم بتدريس هذه المواد العلمية والدعوية أساتذة موجهون بخطبهم ومحاضراتهم، ويعرفون الطلاب بمصادر الموضوعات المتعلقة بالمنهج، وفُضِّلَ لهم تجارب ميدانية في مجال الدعوة الإسلامية وشرح الفكرة الإسلامية، ويطبقون بين الأصول والنظريات التي وضعت في جو خاص وببيئة خاصة أو في عصر من العصور خاص وبين الأوضاع والظروف المعاصرة، الأمر الذي يعرف صعوبته ودقته كل من مارس ذلك.

وأرى أنّ هذه تجربة جديدة وخطوة جريئة في شبه القارة الهندية، قامت بها دار العلوم لتحقيق ذلك الحلم الذي رآه بُناة هذه الدار، في ضوء أهداف حركة ندوة العلماء ودوافعها، وفي ضوء تصوّرات مؤسسي ندوة العلماء البعدي النظر وخطّتهم وعزيمتهم الصادقة.

وقد التحق عدد من خريجي الدراسات العليا - من قسمي الشريعة واللغة العربية في دار العلوم لندوة العلماء - في هذه الدورة التربوية الخاصة بالمرحلة العليا في المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي. وألقيت محاضرات في التعريف بالقومية، والاشتراكية، والصهيونية، والاستعمار، والفِرَق الضالّة من المسلمين، وأخطارها وطرق مقاومتها.

وقد دلّت التجربة على أن هذه الطريقة في التعليم وهذا المنهج الدراسي له فائده وأهميته وضرورته، وشعرنا بأنه كان يلزم البدء بإقامة هذا المعهد قبل ذلك بكثير، وأنه يحتاج إلى توسيع، وتنظيم وتنسيق أكثر.

ولا يخفى على من مارس الدعوة وقام بأداء هذه الفريضة الدينية - لا سيما في الطبقة المثقفة التي تأثرت بالفلسفات المعاصرة والحركات الإلحادية والمادية مع الاطلاع على خلفياتها العلمية والثقافية - أن مهمّة الدعوة ليس سهلة يسيرة قصيرة المدى، كما يعتقد عامة الناس، وأن من إعجاز القرآن وبلاغته أنه أوجز في بيان تلك الضوابط والأصول الشاملة لواجبات الداعي وأساليب الدعوة التي لا تتغير في أي عصر أو مصر ولا تحتاج لاختلاف العصر والمكان إلى أيّ تعديل أو حذف أو زيادة؛ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾:

١ - الحكمة.

٢ - الموعظة الحسنة.

٣ - المجادلة بالتي هي أحسن.

هذه هي العناوين الثلاثة العريضة التي تندرج تحتها البحوث المتعلقة بعلم

الاجتماع وعلم النفس وعلم الجدل، التي تتجرّد عن الإفراط والتفريط والمغالاة والمبالغة والتدقيقات اللفظية والتشقيقات الفنية، وتبني على الفهم الصحيح للدين، ومعرفة النفسية والعقلية البشرية، والمجتمع والبيئة، وتوافق العقول الراجحة السليمة.

ولذلك فإنه يجب على الداعي التعرف على نفسية الحياة الفردية والجماعية وخصائصها أكثر من معرفته بفن البلاغة وكثير من محتويات الكتب القديمة في فن البلاغة والمعاني والبيان والفلسفة والمنطق وعلم الجدل، التي صُرفت إليها الهمة، وبُذلت فيها كثير من الطاقات العلمية والعقلية في العصور القديمة، والتي فقدت قيمتها وفائدتها العلمية في عصرنا هذا، بل قد يكون ضررها أكبر من نفعها وتصبح حجاباً كثيفاً بين الطالب وفهم حقيقة الموضوع ولبابه. والحاجة إلى فهم نفسية الحياة الاجتماعية وخصائصها اليوم وعمل الدعوة والتربية في ضوءها أكبر وأشد من الحاجة إلى غيرها.

وقد ظهرت في هذا الموضوع، في نصف قرن من الزمان، مكتبة زاخرة، وألّف عدد من الأساتذة العرب الإسلاميين الفضلاء في البلدان العربية، وفي الجامعات العربية كتباً قيمة في موضوعات طرق التعليم والتدريس، ودراسة نفسية الفرد والجماعة، وعلم النفس وعلم الاجتماع وأساليب الدعوة إلى الله، كما صدرت في بلادنا أيضاً كتب قيمة مهمة بأقلام الكتاب الإسلاميين الفضلاء من المتخصّصين في هذه المواضيع العلمية وَحَمَلَة الفكر الإسلامي الصحيح.

وكانت الحاجة ماسة إلى أن يقوم أستاذ فاضل - لم يتخلّف عن ركب العلم والفكر والتأليف والبحث السيار - بدراسة هذه الكتب واستعراضها ويقدم خلاصتها والأجزاء المهمة الضرورية منها التي توافقت حاجة خريجي مدارسنا وجامعاتنا الإسلامية والشباب الذين يعملون في مجال الدعوة وظروفهم ومستوياتهم في أسلوب شيق واضح، ويركز بصفة خاصة على ثلاثة جوانب تتسم بالقيمة العملية التطبيقية، والتي لا يستطيع أي داعية أن يعمل بدونها في الطبقة المثقفة الذكية المعاصرة، ويقوم بدوره بطريقة حسنة ويكسب نجاحاً كبيراً:

- ١ - طبيعة الحياة الاجتماعية ونفسيّتها.
- ٢ - طرق التدريس ودراسة النظريات التعليمية.
- ٣ - دراسة طرق الدعوة وأساليب الدعاية والإعلام وتأثيراتها.

ويسرّنا أن العزيز الفاضل الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء - الذي أسندت إليه هذه المهمة - قام بها خير قيام، وعرض هذا الموضوع بإحسان وإجادة وإتقان، فقد ألقى في هذا الموضوع ٢٨ محاضرة - وهي بين أيدي القراء - استكمل بها أطراف الموضوع إلى حدّ كبير، وقد استفاد المؤلف في إعداد هذه المحاضرات والدروس من المصادر العربية والإنجليزية والأردية الحديثة استفادةً تامة، وأوجز وأطنب حسب الحاجة الداعية إليه، ف جاء كل ذلك في كتاب لا يلبّي الحاجة الطارئة الموقّنة بفترة الدوام الرسمي فحسب، بل أصبح جديراً لأن يُستفاد به في تدريس هذه المادة، وقد استعان المؤلف في إعداد هذا الكتاب بدراساته الأدبية الواسعة ورحلاته الطويلة في بلدان العالم الإسلامي وبلدان الغرب أيضاً، ومساهمته الفعّالة في الندوات، وأتصالاته القريبة بالطبقة المثقفة المعاصرة، وتعرّفه عن كتب على مسائلها ومشاكلها وأوضاعها، فضلاً عن تدوّقه للموضوع، وجهده الجادّ الصابر فيه.

ولا يجد القارئ في هذا الكتاب بحثاً علمية رتيبة جافّة بل يجد فيه الحديث الشيق الممتع عن تأثير القرآن الأدبي المعجز، وقدوة الرسول ﷺ وأسوته المباركة، وتأثيرات الأدلة، وشرح طبيعة الأدب السافل ونقده، وتأثير الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة النفسية والخُلقيّة، وطُرُق الاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية، وإسهام المكتبات في التربية العقلية والعملية، وتأثير المجتمعات السكنية ودور الإقامة للطلاب عليهم سلباً وإيجاباً. ويجد فيها القارئ بعض الجوانب الجديدة التي لا يجدها في المصادر العربية أو الأردية أو غيرها في هذا الموضوع، مثل الرحلات وحركة الإمام محمد إلياس الدعوية وأسلوبها في تنظيم الرحلات

الدعوة، وأوضاع الأسر الغربية العائشة تحت ظل المدينة الغربية، وتأثير فصل الدين عن الأخلاق، وأهمية المساجد... الخ.

وهكذا لم يعد هذا الكتاب كتاب منهج دراسي جاف، بل أصبح كتاب علم ودعوة وفن جديراً بأن يقرأه ويتمعنه المعنيون بشؤون الدعوة، المهتمون بقضايا مستقبل النشء الجديد، والجيل المثقف المعاصر، وكل من يشعر بأهمية إصلاح المجتمع المسلم، والله أسأل أن ينفع به قارئه، ويتقبله من المؤلف تقبلاً حسناً. وقد كان الكتاب في أصله باللغة الأردنية ثم نقله بعض مدرّسي ندوة العلماء إلى اللغة العربية، وأطلع المؤلف على الصورة المعرّبة وقام فيها ببعض التحسينات.

والحمد لله رب العالمين

أبو الحسن علي الحسني التّدوي

دار العلوم ندوة العلماء

١٤٠٩/١٢/١٥ هـ

لكهنوه - الهند

١٩٨٩/٧/١٧ م

تمهيد^٢

المجتمع البشري

المجتمع البشري مجموعة من الأفراد يتعايشون في إطاره فيما بينهم في مختلف نواحي حياتهم على أساس رابطة من الروابط تكون فيها وحدة اللغة أكبر عامل من عواملها. والمجتمع ضرورة طبيعية لا محيص عنها، فإن الإنسان لا يقدر على أن يعيش وحده بمعزل عن بني جلدته حياةً هنيئة سعيدة. إنه يحتاج لكي يدفع عجلة الحياة بسهولة ويُسّر إلى مساعدة الآخرين وتعاونهم، فالخبز الذي نتفقدُ به يمرّ بمراحل مختلفة وتساهم في إعداده الأيدي العاملة العديدة من يد الفلاح والزارع إلى يد صانع سكة المحراث ثم يد الطحان ثم التاجر ثم الخبّاز، ثم يتهيأ الخبز وذلك بتعاون هؤلاء جميعاً وتضافر جهودهم. كذلك الملابس والمسكن والمرافق الأخرى التي تطول قائمتها أو تقصر حسب سعة حياة الإنسان وضيقها، فيتكوّن المجتمع نتيجة هذا التضامن وهذه الوحدة، ويصوغ الحياة بالطرق النافعة ويستفيد مما يحيط به من إمكانيات وتسهيلات حسب ما تمسّ إليه الحاجة.

عملية التعليم

ثم إن الإنسان يحرص على أن تنتقل تجاربه في الحياة إلى أجياله القادمة وهي تلك النتائج التي توصل إليها نتيجة مشاهداته وتجاربه المتواصلة على امتداد حياته وذلك لأنه يريد أن لا تضيق جهوده وتجاربه سُدىً بل تبقى وتنتقل للأجيال القادمة لتضمّمها إلى تجاربها واكتشافاتها الجديدة. وهذا هو الهدف الذي ترمي إليه عملية التعليم والتدريب. وهي في الحقيقة نوع من عملية التربية والتثقيف يقوم بها أفراد البشر نحو إخوانهم وفق اتجاه محدّد وذوق خاص.

اللامنهجية في التعليم

تفيد دراسة التاريخ أنه ما إن يوجد المجتمع البشري إلا وتبدأ عملية التعليم والتعلم تلقائياً، فإن صغار السن والأمين من الناس يقلدون كبارهم ويترسمون خطوات ذوي الخبرة من أفراد مجتمعاتهم ويتلقون منهم ما ينفعهم من معلوماتهم وممارساتهم العملية بصورة تلقائية أو غير تلقائية وهذه المحاكاة أو الاستفادة لا تحتاج إلا إلى العقل البشري العام.

وهذا العقل العام يرافق الإنسان ويلزمه دائماً ويعمل عمله. فالأطفال يرون أمهاتهم وآباءهم يمارسون أعمالاً وأساليب مختلفة فيتلقونها منهم، كما أن الآباء أو الكبار من أفراد المجتمع يستلقتون أنظار الصغار والأحداث إلى ما يستحق التحلي به من الأخلاق ومن الجوانب الحسنة من السيرة، وبذلك تتحقق عملية التعليم والتعلم ولكن بصورة تلقائية وبشكل لامنهجي.

من اللامنهجية إلى المنهجية في التعليم

وهذه اللامنهجية في التعليم تشكل أساساً للتعليم المنهجي، فإنه بقدر ما يتقدم المجتمع البشري في مجال الصناعات والفنون، ويتسع نطاقها، يشتد الشعور بالحاجة إلى تعليم الأحداث والأغرار من الناس وتوجيههم توجيهاً بناءً، وذلك يجرّ إلى التعليم المنهجي.

بداية التعليم المنهجي

ويظهر من دراسة تاريخ مراحل التعليم أن المنهجية في التعليم تدين في وجودها للمعابد والمساجد والدوائر الدينية. فقد كان سدة المعابد والعاملون في مجال الدين والأخلاق والحاملون للواء الدعوة والإصلاح يركّزون اهتماماتهم على توجيه مجتمعاتهم وتعريفها بالشؤون الدينية والإصلاحية. وإن مجالسهم ومحافلهم وإن لم تشهد نظام الحصص والصفوف والخطط التعليمية الحديثة؛ لكنها كانت بداية أصيلة للتعليم المنهجي، وخطوة أولى في تحقيق أهدافها المنشودة إلى أن تطوّرت عملية التربية والتوجيه إلى الصورة المنهجية المنظمة. فظهرت الحلقات

التعليمية أولاً ثم بدأ المدرسون يعلّمون معتمدين على الكتب والمقرّرات الدراسية واستمرت عملية التعليم تتحسّن وتتقدّم تدريجياً.

أما في الإسلام فقد كانت بدايتها من صُفّة المسجد النبوي الشريف وهي التي تطوّرت بمدى الأيام وزادها إنشاء المراكز التعليمية اتساعاً وازدهاراً كجامع القرويين في مدينة فاس بالمغرب وجامع الزيتونة في تونس وجامع الأزهر في القاهرة. وهي قديمة يرجع عهد كل منها إلى أكثر من ألف عام. وكانت في الأصل مساجد احتفت بالتعليم الديني ووسّعت إلى أن تكوّنت منها جامعات تاريخية كبرى. وعلى مثلها قامت في إنجلترا جامعة أكسفورد وكمبرج، ومثلها في فرنسا جامعة السوربون، فقد كانت جميعها في البداية مدارس تابعة للكنيسة وهي اليوم جامعات عالمية كبرى.

التعليم في القرآن والسنة

لا يملك المسلمون كتاباً أشدّ تأثيراً وقيمة وأشمل لمواد الأخلاق والكرامة الإنسانية والمعارف الدينية والروحية من القرآن الكريم. فقد أشاد القرآن الكريم بالعلم ونوّه بشأنه في غير موضع. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾. وأول ما بُدئ به الوحي على رسول الله ﷺ كان بكلمة ﴿اقرأ﴾. وحثّت الأحاديث النبوية الشريفة كذلك على تعلّم العلم وشجّعت طلبة العلم وبيّنت فضائل العلم وتأسست في المسجد النبوي - على صاحبه ألف ألف تحية وسلام - أول مدرسة للإسلام «الصّفة» التي تنتمي إليها سائر المدارس والجامعات في العالم الإسلامي.

معنى العلم في الإسلام

قال النبي ﷺ وهو يذكر فضل العلم ويحثّ على طلبه: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع». ولا بد هنا من ملاحظة، وهي أنّ كلمة العلم كلمة أطلقت للجانب العلمي الذي يقتضيه السياق فالصلاح حينما يستعمل كلمة المعارف لا يقصد بها إلا المعارف الزراعية. وكلمة «العلم» عندما

تستعمل في الحديث الإسلامي الديني تدل على علوم القرآن والسنة وما يُستخرج منهما .
لكن لا يعني ذلك أننا نريد أن نحصر العلم في نطاق محدود أو دائرة ضيقة
فإن النبي ﷺ قد أباح الاستفادة من الشَّعب الأخرى للعلم مما يتصل بالحياة
البشرية المتنوعة أو يُعتبر من ضروراتها ودعاتها . وروي أنه نهى أصحابه عن تأبير
النخلة فلما تبين له أنهم على الصواب قال لهم: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» . وبناءً
على ذلك يمكننا أن نرى إلى «أمور الدنيا»؛ فهذا المصطلح يشمل جميع العلوم
الدنيوية وقد أُبيح لنا أن نستفيد على أساسها من التجارب والخبرات البشرية
المختلفة ونستخدمها لصالح البشرية .

وقد اهتم كثير من القادة الدينيين والزعماء الوطنيين والمربين والمعلمين
بالترية والتعليم وركّز القرآن والسنة عناياتهما الخاصة عليهما، فقد ورد في
الحديث النبوي الشريف: «بلغوا عني ولو آية» .

كل مجتمع يهتم بتعليم أبنائه وتربيتهم

حاول الإنسان في كل دور من أدوار التاريخ أن يختار طريقاً للتعليم والتربية
إلى أن يتحسّن مجتمعه ويخطو نحو التقدّم والازدهار . كما قام بتطوير الوسائل
التعليمية وبالتالي إسعاد المجتمع وأفراده . ونرى أن المجتمعات التي أهملت
جانب التعليم وتغاضت عنه بآت بالفشل والإخفاق في مجال الحياة ولم تُحرز
أيّ تقدّم أو نجاح .

إن نهضة أوروبا وأمريكا الحديثة ترجع إلى اهتمامها بالتعليم وقد ورثت أوروبا
العلم والشغف به من المسلمين في الأندلس في عهدها الإسلامي الزاهر وأسست
أوروبا تجارها واكتشافاتها الحديثة على مبادئ المسلمين ومعارفهم ودفعت عجلة
العلم المادي نحو التقدّم والرقي حتى احتلت مكانة الأستاذ في العالم الحديث .
ومن المصادفات المؤسفة المحزنة أن المسلمين كانوا غارقين في سُبَاتٍ عميق
ومتمادين في الغفلة والانحطاط في العهد الذي نهضت فيه أوروبا وخطت خطوات
حديثة نحو التقدم والازدهار في الوقت الذي كان زمام القيادة والزعامة العلمية قد

انتقل من أيدي المسلمين إلى أمم أوروبا. وأما قبل ذلك فقد كانت الحضارة الإسلامية هي السائدة في العالم وقد تركت آثاراً بعيدة عميقة على معظم أصقاع المعمورة. ولعب العلماء والفلاسفة المسلمون دور المعلمين والقادة.

التعليم في المسلمين

ويرجع تاريخ شغف المسلمين بالعلم إلى تعاليم دينهم فقد وجدوا القرآن الكريم أكبر مرشد ومعلم لهم، وهو الذي أرشد البشرية جمعاء إلى مبادئ نافعة وصالحة للحضارة والمدنية والعلم والثقافة والإنسانية وحدد لها معالم التطبيق والتنفيذ، ثم أقبل المسلمون على دراسة معارف الأمم الأخرى وعلومها، واستعرضوا آراء الفلاسفة القدامى وأفكارهم وانتفعوا بها وأضافوا إليها إضافات قيمة انصغت بها في قالب جديد.

ثم نهضت أوروبا وبنيت ثقافتها ومدنيتها على أساس ثقافة المسلمين وحضارتهم ولكنها انطلاقاً من عصبيتها القومية والوطنية حصرت انتماءها العلمي والمدني إلى المدنيات الغربية القديمة، واستوحت منها روحها وطبيعتها واعتمدت في حياتها الخلقية والحضارية على الفلسفة الإغريقية والحضارة الرومية.

اكتساب المعارف من الغرب

وأحرزت أوروبا انتصاراً هائلاً وطاقت عملاقة في المجالات المختلفة من الحياة عن طريق ما حققته من تقدم ونجاح في العلوم التجريبية فاحتاجت أمم الأرض بأسرها إلى أن تستفيد من معارفها وتجاربها وإنتاجاتها. وكان المسلمون بالعكس من أوروبا قد أصيبوا بالتخلف العلمي والانحطاط المدني مع أنه كان لا يزال حتماً علينا أن نعكف على تراث سلفنا العلمي في مجال الدين والخلق والمثل والقيم في جانب، ونقبل على الاكتشافات والانتاجات العلمية التي تمخضت عنها جهود الغربيين في مجال التقدم والرفق المادي في جانب آخر، وتجعل نصب أعيننا المبدأ الإسلامي الشامل: «الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحق بها» فلا بد لنا إذاً أن نستفيد كذلك من صالح ما وصل إليه خبراء

الغرب المنحَصُّون في مجال التعليم والتربية من النظم والأساليب والمناهج عن طريق تجاربهم واكتشافاتهم.

تفاعل التعليم والحياة الاجتماعية

إن للتعليم صلة وثيقة بحياة الإنسان لا يمكن الفصل بينهما، وهما يتبادلان التأثير والتأثر والأخذ والإعطاء، وليست مناهج التعليم ومحتوياته إلا من منتجات الأفكار والعقل الناشئة من طبقات المجتمع المختلفة، ولا يمكن لقضايا العلم أن تتحرَّر من أفكار أصحابها وتصوراتهم الخاصة. وإن كل ما تضعه هذه الطبقات من نظم أو مناهج لا بد أن تؤثر فيه الأفكار والعواطف السائدة في تلك البيئة أو المحيط بصورة تلقائية أو غير تلقائية؛ فلخطط التعليم بنظمه التعليمية سمات خاصة تنطبق بها الطبقات التي يتبعها ويستفيد منها.

وبذلك ترى أن التعليم يؤثر على الحياة تأثيراً عميقاً وشاملاً، أما التعليم المنهجي فإنه وإن كان لا يتلقاه إلا طبقة خاصة من المجتمع، وهم طوائف من الأحداث والشباب إلا أنه يشمل المجتمع بأسره بصورة منطقية وحتمية.

وبيان ذلك أن الجيل الناشئ الذي يتلقى التعليم اليوم سيدخل في معترك الحياة بعد عشرين سنة ويصبح بمثابة العظم الفقري من المجتمع، وبذلك يحمل شباب اليوم كل نوع من مسؤوليات المجتمع على كواهلهم غداً.

وإلى هذا المعنى يشير الشاعر الأردني المعروف أكبر الإله آبادي في شعره الذي سار به الركبان، حيث يقول: (لو أن فرعون اهتدى إلى تأسيس الكليات والجامعات لما تشوَّهت سمعته بقتل أطفال بني إسرائيل).

يريد الشاعر أن يشرح مدى تأثير التربية والتعليم على الجماهير فيقول: لو أن فرعون لم يقتل أطفال بني إسرائيل بل أسس لهم الكليات والمدارس يعلمهم فيها الأسانذة الأقباط القائمون بنشر الفكر الفرعوني والتصورات الفرعونية لخضع هؤلاء الأطفال لمصالحه بدلاً من مصالح قومهم ولنال فرعون مطلوبه من قتل الأطفال بدون أن يقترف هذه الجريمة.

مثال من الواقع

لما قررت الحكومة الهندية اللغة السنسكريتية الميته كلغة وطنية رسمية للبلاد بعد استقلالها كان الناس يستهزئون بها ويسخرون منها نظراً إلى غرابتها وعدم قبولها العام، ولكنها قطعت مسافة من تقدمها فترعرعت ثم شُبت إلى أن احتلّت اليوم مكانة اللغة الحقيقية. بل الأولى في المجتمع.

وهكذا وقع في الأرض المحتلة تحت اليهودية في فلسطين فقد فرضوا العبرية فصارت لغةً سائدةً لديهم.

الحاجة إلى إدراك المبادئ والطبائع

فإن التعليم ومنهجه ونظرياته تحمل أهمية كبيرة في تكوين المجتمع وتربيته، ومن هنا تشتد الحاجة إلى معرفة أبعاد التعليم وفق طبائع المجتمع وطبقاته المختلفة ودراسة أفكار الإخصائين وتجاربهم واكتشافاتهم، فيجب علينا أن نطلع على وظيفة التعليم المنهجي المدرسي وهي تقوم على ثلاثة أعمدة: أولاً: المدارس والمدرسون. وثانياً: الطلاب. وثالثاً: المادة التعليمية المختارة. كما يجب أن نطلع على تأثير الحياة العائلية في مجال التعليم، ونطلع على تأثيرات الوسائل الأخرى وعلى الإمكانات الدينية في هذا المجال، ثم تجب دراسة أهداف التعليم السائدة المختلفة من الوطنية والديمقراطية والخلقية والسياسية والدعائية لأفكار وآراء خاصة.

ويجب كذلك الاطلاع على طبائع الطلاب وأذواقهم وأوضاعهم النفسية والعاطفية وتأثيرها على عملية التعليم كماً وكيفاً.

الطبيعة البشرية الاجتماعية

فائدة المجتمع

إن الأفراد الذين يتكوّن منهم المجتمع يجمعهم نوع من وحدة الأفكار والمشاعر؛ فالمجتمع في مصطلح علم النفس يُطلق على المجموعات البشرية التي تجمعها وتعمل فيها الوحدة الفكرية بعواملها المختلفة. وإنّ أهم ما يُلاحظ في أفراد المجتمع في وضعهم الاجتماعيّ أن تأثير القوة العقلية فيهم يضعف إلى حدّ ما ويشتدّ بدلاً منه تأثير العاطفة والانفعالية فيهم، وتصبح هذه المجموعة الاجتماعية من الأفراد وحدة تتميز بطبيعتها وأخلاقها ومعتقداتها.

ويحمل الاجتماع البشري فوائد شتى: الأولى منها أنه يتيسّر له أداء أعماله بحكم التضافر والتعاون فإن الإنسان بمفرده وبقواه المنفردة لا يستطيع إحراز مطالبه كما يجب، وبذلك لا يستطيع أن يعيش حياة سعيدة في حالة انفراده وانفصاله عن المجتمع، وإنما لا بدّ له من الاستعانة بغيره من بني جنسه، ولن يتحقّق ذلك إلا في وضع الحياة الاجتماعية.

الفائدة الثانية من الوحدة الاجتماعية هي: أنها تمنح الأفراد قوة خارقة وطاقة هائلة. فالأعمال التي يعجز الأفراد عن القيام بها منفردين تحقّقها الحياة الاجتماعية بسهولة ويُسر. إن الوحدة الاجتماعية قوة لا تدانيها الجهود الفردية المتفرّقة. كذلك الدفاع والذيداع عن البلاد لن يقوم به الأفراد مثلما تقوم به الوحدة الاجتماعية.

الفائدة الثالثة من الوحدة الاجتماعية: أنها تحدد مكانة الفرد ووظيفته فإن كل

فرد يعمل في نطاقٍ ضيقٍ محدود حسب قدرته وكفايته ولكنه يجني ثمار أعمال المجتمع فكل شخص وإن كانت وظيفته ومكانته تتحدّد وتتعيّن ولكنه يشارك غيره في الانتفاع بالنتائج التي تسفر عنها الجهود الاجتماعية وذلك يرجع إلى توزيع الأعمال والطبيعة التضامنية للوحدة الاجتماعية.

الثبات والتغيير في الطبيعة البشرية

تنقسم الطبيعة البشرية إلى نوعين «ثابت» و«متغير».

يقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، ويقول في مكان آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

وورد في الحديث النبوي الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

«وإذا سمعتم بجبل يزل عن مكانه فصدّقوه، وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدّقوا به فإنه يصير إلى ما جُبل عليه».

تدلّ هذه النصوص في ظاهرها أن الطبيعة البشرية لا تتغيّر كما ظهر من قوله: «وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدّقوا به فإنه يصير إلى ما جُبل عليه». هذه الطبيعة لا يمكن تغييرها. إنها قد تضمحلّ وتخفّت بتأثير بعض العوامل أو الأسباب ولكنها لا تخضع للتغيير والتبدل الكامل وإلى هذا المعنى يُشير ما قاله النبي ﷺ من أن المرأة خُلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبَتْ تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء.

ولكنّ هناك جانباً آخر من الطبيعة البشرية وهو يخضع للتغيير والتبدل بفعل المحاولات الحكيمة الجادّة وهذه الطبيعة هي التي يتناولها التعليم والتربية بالتغيير والإصلاح.

الطبيعة الاجتماعية عاطفية

نتناول الطبايع الفردية بالدراسة والبحث وذلك للحكم على الأفراد، ولكن الاهتمام بالطبايع الفردية وحدها عند دراسة الوحدة الاجتماعية لا يكفي بل إنما ينظر إلى الطبيعة المشتركة الناتجة من الحياة الاجتماعية للأفراد والتي تتميز بسماحتها وخصائصها والتي يضعف فيها ويتضاءل تأثير القوة العقلية وتشتد في مكانها العواطف والمشاعر وذلك لأنه ينشأ في طبيعة الوحدة الاجتماعية وضع شبه شعوري يضمنل فيها تأثير العقل فالأساليب العاطفية والوجدانية تعمل في المجتمع بما لا تعمله البراهين العقلية وتؤثر الأحاديث المثيرة أكثر بكثير من الكلام المنطقي الجاد.

ارتباط المجتمع بمعتقداته

ومن طبيعة الوحدة الاجتماعية أنها تتمسك بمعتقداتها وتعص عليها بالنواجز ولا تسمح بإحداث أي تغيير تجاهها بل تعارض بكل قوتها مثل هذه المحاولات وكان ذلك سبباً رئيسياً في ما واجهته دعوة الأنبياء والمصلحين بصفة عامة من معارضة شديدة ومقاومة حارة من مجتمعاتهم، وهي لا تحرز النجاح والانتصار إلا بعد جهود مضية طويلة وصبر يثبت العزائم والهمم، فإن عقلية الهيئة الاجتماعية ترفض كل أمر جديد على معتقداتها وتقاليدها مهما استند هذا الأمر الجديد إلى العقل والبرهان. ويكون دليل معارضتهم دائماً هو رأيهم ﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، وعلق القرآن على ذلك بقوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا هُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

فمن طبيعة الجماعة أنها لا تستجيب لما لم تعهده من قبل، وإذا أرغمت على ذلك بطريق من الطرق فإنها تلجأ إذن إلى أن تصبغها بصبغتها الخاصة، وإلى أن تصوغها في قالبها المألوف.

ضعف جانب المصالح الفردية

إن الوحدة الجماعية لا تهتم بالمصالح الفردية اهتماماً خاصاً بل إنها تعالج كل قضية ومشكلة وفق المصلحة الاجتماعية، فالجماعة لها طبيعة خاصة وأسلوب متميز. وفيما يلي بيان الأوضاع المشتركة للطبيعة الجماعية الأساسية:

١ - الوجدان: يضعف فعل العقل في الوحدة الاجتماعية ويغلبها وضع شبه شعوري ويسودها الخيال والوجدان ويتحكّم فيها حب الغلو والمبالغة وتشتد فيها روح الإقبال على الأوهام والأساطير والخرافات فتؤثر فيها الأكاذيب والأباطيل بقدر لا يؤثر فيها الواقع العملي والعقلي .

٢ - العاطفية: وتمتاز الطبيعة الجماعية بالاستجابة للعاطفة والخضوع أمامها فتعتمد الجماعة على العواطف وتثور بالخطابات العاطفية وتنقاد للعصبية والرجعية وتهاب أصحاب الشوكة والسطوة وتخضع لهم . فالذين يعرفون مواطن الضعف هذه في الجماعة يتحكّمون فيها بالجيل الكاذبة أو العادية ويستغلّون أوضاعها الانفعالية والثورية .

٣ - حب الجدة والطرافة: وتمتاز الجماعة بحب الجدة والطرافة . إنها لا تستقر على الرضا بلون واحد لمدة طويلة، ولذلك يلجأ الزعيم والقائد إلى اختيار الألوان المتجدّدة والأنحاء المتطرّفة في سياسته ليكسب بذلك رضا الجماعة .

٤ - تدهور المعايير الخلقية: تمتاز الجماعة كذلك بتدهور المعايير الخلقية فلا يُرجى منها المستوى الخلفي الذي يُرجى من الأفراد، فإنها تتسم بضعف الجانب الخلفي بل تتسم بالانحلال والخلاعة .

مَعْتَقَاتُ الْمَجْتَمَعِ وَمَقُومَاتُهَا

وتكون قيم المجتمع ومعتقداته على نوعين: أساسي لا يتغير بسهولة ويُسر، وغير أساسي تؤثر فيه العوامل المختلفة فيخضع للتغيير والتبدل. ومقومات هذه القيم والمعتقدات تنقسم إلى قسمين: مقومات بعيدة، ومقومات قريبة.

المقومات البعيدة

الدين: والدين هو أقوى هذه المقومات البعيدة وأهمها وأشدّها تأثيراً، ومعظم المعتقدات الأخرى ناتجة عنه ونابعة منه. فإنما تفيد دراسة التاريخ البشري أن التأثيرات الدينية قد لعبت دوراً بارزاً ملموساً في تكوين معتقدات المجتمعات وصيانتها. وأما المقومات والدعائم الأخرى فإنما تأتي بعد الدين، وتبدو قوة الدين وتأثيراته جلية واضحة في مختلف مجالات الحياة، وقد حفل التاريخ البشري، بأمثلة لذلك، والسبب هو أن الدين يخاطب القلب، وهو إذا اقتنع فلا يؤثر عليه العقل فالمهم اقتناع القلب وقبوله لأمر ما، وإذا حدث ذلك، فلا يبقى الأمر في حاجة كبيرة إلى اقتناع العقل.

والمجتمع بناءً على طبيعته شبه الشعورية أكثر إصغاءً إلى لغة الدين النافذة إلى القلوب وأشدّ تأثراً وانفعلاً بها.

وهناك مقومات أخرى بجانب الدين كالقومية والتقاليد الموروثة والنظم السياسية والحياة الاجتماعية والزمان والتربية والتعليم، وتعرض لها فيما يلي:

القومية: تقوم القومية على أساس فكرة مشتركة منبثقة من الوحدة

الاجتماعية واللغوية والثقافية، ويحمل هتافها تأثيراً قوياً تتولد منه أحياناً حركات قوية كبيرة، وهي تلي الدين في القوة والتأثير.

التقاليد الموروثة: والتقاليد الموروثة كذلك تحمل آثاراً بعيدة المدى في الحياة، وتصبغ المجتمع بصبغة خاصة ثم تنتقل هذه التقاليد جيلاً بعد جيل وبحبها المجتمع حباً زائداً، ويعصّ عليها بالنواجذ وقد يقوم في سبيلها بتضحيات كبيرة.

التنظيم والحياة الاجتماعية: ويقوم التنظيم الحكومي والحياة الاجتماعية أيضاً بتأثير ملموس في تكوين المعتقدات، فنظام الحكم يسخر إمكانياته ووسائله المختلفة لتشكيل هذه المعتقدات وصياغتها وفق حاجته وذوقه. ويدانيه في التأثير والنفوذ نظام الاجتماع، بل قد يؤثر في بعض النواحي التي يعجز نظام الحكم عن الوصول إليها أو التحكم فيها.

الزمان: ويلعب الزمان دوراً بارزاً في تكوين المعتقدات وتغييرها وإصلاحها، فكثير من القيم والمثل تفقد تأثيرها ونفوذها مع تقادم الزمن وتحل محلها قيم جديدة.

نظام التعليم والتربية: أما نظام التعليم والتربية فهو أيضاً من أقوى هذه المقومات تأثيراً، فالأفراد الذين يتكوّن منهم المجتمع تتحكّم فيهم وسائل التربية في مستقبل أعمارهم، ثم هؤلاء الأفراد هم الذين يحافظون على القيم والأعراف ويغذّون بها المجتمع ويصوغون بذلك معتقداته وأساليبه صياغةً جديدةً فيترك التعليم والتربية على طريق الجيل الصاعد آثاراً قوية غير عادية في المجتمع.

المقومات القريبة

الكلمات وقوتها: من المقومات القريبة التي تؤثر في معتقدات المجتمع وأفكاره الكلمات والتعبيرات الأدبية، فهذه الكلمات والتعبيرات المقترنة بخلفيات نفسية خاصة تأثير قوي جداً. إنها تؤثر في العقول والعواطف تأثيراً عميقاً إذا تكرّر استعمالها في محلها وأوانها وربما يحقق استخدام كلمات خاصة ما لا تحقّقه الدلائل والبراهين العقلية. ولقد استغل السياسيون والمفكرون مراراً

هذا السحر الكامن وراء الكلمات وغيروا به اتجاهات الشعب وتيار الحوادث فيه. فمثلاً كلمات: الحرية، والاستقلال، والثورة، والاستعمار، والسلطة الأجنبية، والاحتلال، وما أشبهها من الكلمات تحمل تأثيراً قوياً في الأمم المحتلة أو الخاضعة لتأثير الأجنبي قبل أن تفوز بالاستقلال الذاتي. ونرى اليوم كذلك أن كلمات السلام، والأمن، والشعب، والعمال، والمساواة، والسلام العالمي، والاستقلال، والرأسمالية، وكذلك كلمات: الإشتراكية، والإمبريالية، وما أشبهها من الكلمات تهزّ النفوس وتحرك العواطف، وتسري سرياناً غريباً، ويتسرّب إليها تسرباً مدهشاً، وذلك لأنها تحمل في معانيها خلفيات قوية تترك آثاراً أقوى وأعمق من معاني الكلمات اللغوية المجردة، حتى إن السامع لا يكاد يدرك أيهما أشد تأثيراً ونفوذاً: المعاني أم الخلفيات التي قد لا تتفق مع المناسبات التي استُخدمت فيها الكلمات؟.

الأوهام والأفكار: ومن هذه المقومات التصورات والرؤى القائمة على الأخيلة والأوهام التي يعتمد عليها جمهور الناس وقد يكون الشعب أشد إقبالاً على الأخيلة والأوهام فيكون الاعتماد عليها أكثر بالنسبة إلى الحقائق.

الآراء تكون وليدة التفكير العقلي وتكون التصورات نابعة من الأوضاع السائدة والظروف، وقد يختلف الواقع عن نتائج التفكير العقلي، بل ويُعارضها، ولكن المجتمع يخضع لتصوراته وأوهامه النابعة من واقعه، وقلماً يهتم بالتفكير العقلي الباحث وينصاع له.

ومن هنا فإن تقاليد الشرك والضلال السخيفة تصحح حجر عثرة في سبيل مناهج الهداية والآيات الواضحة للإيمان والحق، ولا تغني دلائل الدعاة إلى الحق وبراهينهم إلا قليلاً، ولكنّ الأساليب المثيرة لعواطف الجماعة ومشاعرها مع مراعاة طبيعتها تكون أجدى وأنفع من غيرها.

التجارب: الحياة والتجارب العملية التي يمرّ من خلالها المجتمع تؤثر في معتقداته إلى حدّ كبير ولكنها تصطدم مع الأخيلة والأوهام السائدة فيه فلا تحقق

نجاحاً كبيراً. إنها تؤثر في المعتقدات والأفكار بقدر وضوحها وقوتها وترغم الأخيصة والأوهام على الخضوع للتغيير والتبديل والاستجابة لهما.

ولما ظهرت في أوروبا النهضة العلمية وأثرت البحوث والدراسات في الوصول إلى اكتشافات فلكية وعلمية أخرى أبدى الشعب والدولة والكنيسة سخطهم على ذلك وأرادوا منعها من الانتشار والذبيوع وواجه العلماء والمخترعون والمكتشفون مصاعب وعقوبات قبل أن تشهد مساعيمهم وجهودهم نجاحاً بارزاً ملموساً.

العقل البشري: إن العقل البشري كذلك يؤثر في المعتقدات والأفكار إلى حد كبير ولكنه أضعف المقومات تأثيراً ونفوذاً، فالتقرير العقلي لأمر من الأمور يؤثر في معتقدات الجماعة بعض التأثير ولكنه لا يعرضها للتغيير الجذري الشامل، ولأجل ذلك تمس الحاجة إلى التأييد من القلب.

آثار الدين والقومية

آثار الدين والقومية على أفكار الجماعة
قدمنا من قبل أن الدين يؤثر في قيم الجماعة ومعتقداتها تأثيراً قوياً بعيد المدى ويليه في التأثير والقوة الشعور القومي.

يغطي تأثير الدين والقومية معتقدات المجتمع وقيمه بصفة عامة؛ ذلك لأنهما يتصلان بقلوب الناس وعواطفهم اتصالاً قوياً ويساهمان مساهمة فعالة في صياغة الحياة الاجتماعية صياغة جديدة.

الدين: أما الدين فإنه يربط المجتمع بإلهه وخالفه ويخضع قيمه ومعتقداته وعاداته لرضاه فيستثير العواطف الدينية التي تنطوي عليها النفوس البشرية ويشعل مجارها.

الشعور بعظمة قوة غير مدركة: تشعر الطبيعة البشرية في داخلها بعظمة قوة غير مرئية، وحينما تصادف حادثة أو فكرة تعجز عن تحليلها فإن عواطفها ومشاعرها تتأثر بها وتنفعل وتتجاوب معها اتجاهاتها وسلوكها.

يشمل هذا الوضع المجتمعات الجاهلية البدائية والمجتمعات الراقية المتحضرة، بفارق أن المجتمعات الجاهلة تتفاعل مع أحاسيسها ومشاعرها وتظهر بها بينما نشاهد المجتمعات الراقية المتحضرة أنها تحاول ضبطها أو كظمها، حتى إن المجتمعات التي تعرضت لمحاولات استئصال آثار الدين بأساليب شتى لم تندثر فيها هذه الآثار بل ظلت مخفية كالجذور والنوى، وما إن لقيت الدعم والمساعدة إلا وبدأت الروح والحياة تدب فيها، وأكبر شاهد على ذلك ما نلاحظه

من بقاء آثار الدين في النظام السوفيتي حيث طُبِّقت سائر الأساليب والوسائل للقضاء على سلطة الدين وآثاره، ولكنه لم يجد أخيراً بدءاً من السماح بأداء شعائره الدين ولو بصورة جزئية.

الدين كقوة عظيمة: إن الدين قوة عظيمة تساهم مساهمة فعّالة في تكوين المعتقدات والأفكار والقيم في جانب، وتنشئ في نفوس الجماعة والأفراد الحياة والروح والعزيمة والطموح في جانب آخر، وقد تحقق مآثر جليلة ومفاخر عظيمة تعجز عنها الأساليب والمناهج الأخرى، وتتضمن تعاليم الدين مقومات، تنفخ روحاً وثابة في القوة البشرية العاطفية والمعنوية، وتستثير فيها الطموح والعزيمة، وقد تدفع الناس إلى القيام بمغامرات وتضحيات تفوق الفكر والخيال.

إن التاريخ البشري حافل بأمثلة نادرة من تأثير الدين القوي، بل الأمر الواقع المعلوم أن العالم كله - قبل أن تحرز الفلسفات والأفكار الغربية المادية الإلحادية النائرة النجاح والانتصار - كان يعتمد على الدين في سائر شؤونه ومناحي حياته من السياسة والحكم والشؤون الاجتماعية، والمحاولات التربوية الإصلاحية حتى إن الحكام كانوا يلتجئون إلى مساندة الدين ودعمه ليحتفظوا بسطانهم وسيطرتهم.

الصراع بين الدين والعلم: شهد العالم واقع الصراع بين الدين والعلم حينما نهضت أوروبا بثورتها العلمية والصناعية، وظهرت الفكرة القائلة بفصل الدين عن الدنيا نتيجة ما ارتكبه حَمَلَة راية الديانة المسيحية من أخطاء بإصرارهم فيما لا يقبل الإصرار، وتدخّلهم فيما لا يلائمهم التدخّل فيه، ثم حاولوا تطبيق هذا المنهج في العالم بأسره، ولكنّ عمليّة كسر قوة الدين وشوكته كانت تتطلب قوة تماثلها أو تدانيتها، فبحث دعاة هذا الفصل المُشِين عنها وظفروا بها في صورة القومية.

القومية: كانت القومية خاضعة للدين، ولكنها أصبحت منذ ذلك الحين خصماً أو قوة معادية له، ولكنها لم تنجح في اجتياحه والقضاء عليه بتاتاً ولا يزال جزء كبير من العالم يعاني من الصراع بين الدين والقومية المعادية للدين.

المصيبة والمواقف القومية: إذا كان الدين يهدف إلى أن يؤتق صلة العباد بربهم ويوطد علاقتهم به ويستثير في قلوبهم الغرائز التي تخضع لعظمة القوة التي لا تدرکہا الأبصار، فإن القومية تثير في أتباعها غرائزهم المشتركة الوطنية والثقافية والسلالية، وهي غرائز مودعة في الطبيعة البشرية تعمل عملها إذا أُثيرت، فإن الإنسان يُقبل على كل ما يمت إليه بصلة أو وشيجة ويميل إليه حتى إنه يتعصب له وينحاز إليه، وهذه العصبية جزء من الطبيعة البشرية، تسير بجانب الدين إذا اشتد تأثيره ونفوذه وبجانب القومية إذا جرفها تيارها.

الإخلاص والإيثار في الدين: إن الدين يربط الإنسان بسلطان أرفع وقوة عليا، فحينما تتم السيطرة للدين وللشعور به يضحي الإنسان بأهوائه ومصالحه الذاتية ومنافعه الشخصية حتى ينال رضا الله وثوابه وينشئ في نفسه صفات الإخلاص والإيثار والمغامرة والتفاني والمواساة وغيرها من القيم الرفيعة والمثل العليا، فيزيد المجتمع رقيًا وازدهاراً وتقدماً، وكل مجتمع يتمسك بهذه القيم ويلتزم بها لا يلبث حتى يصير مجتمعاً سعيداً يسوده الأمن والسلام والهدوء والفوز والفلاح.

الأثرة والتمييز والمباهاة في القومية: وعلى العكس من ذلك فإن القومية طُبعت على الأثرة؛ لا تهتم إلا بشؤونها ومصالحها ومنافعها والتي تصطدم مع المصالح والمنافع العامة، وإن القومية تنافي الإيثار والإخلاص والمواساة بل تقسم البشرية إلى طوائف وجماعات صغيرة وكبيرة، ثم تتعرض هذه الطوائف كذلك لمزيد من الانقسام والانفصال، لا يفرض عليه أي قيد إلا الدين أو قوة طاغية قاهرة.

إن الأنظمة التي تقوم اليوم على أساس القومية البحتة إن منحت لها الحرية ومهد لها الجرح حتى تنمو وتنتشر لن تلبث أن تتولد فيها قوميات عديدة بل عشرات من القوميات على أساس اللغة أو السلالة أو اللون أو الاقتصاد أو السياسة فإن كل نظرية من هذه النظريات تتوفر فيها شروط التحزب والانفصال، وكم من دول العالم اليوم تقوم أنظمتها القومية على هذه الأسس والقواعد.

الأشرة ووحدات الحياة الاجتماعية

أقسام المجتمع في العالم المعاصر

قد بلغ المجتمع البشري اليوم من التعقد والانساع ما لم يسبق له نظير فإنه ينقسم اليوم إلى عديد من الوحدات والأسس من اللون والفكر والدين، والوظيفة والشغل، والثقافة والصناعة، وهذه الوحدات بأسرها تندرج تحت وحدة كبرى تشمل العالم كله، ونشأ فيها انقسام المناطق الكبرى من العالم إلى وحدات مختلفة.

الهيئات الاجتماعية المتحضرة

تنقسم الهيئات الاجتماعية المتحضرة إلى:

١ - الأسرة.

٢ - المدرسة.

٣ - والمجتمع العام.

فالمجتمع البشري المعاصر ينقسم اليوم بسهولة إلى هذه الهيات الثلاثة والتي تقرر منطلقات رئيسية لدراسة أوضاعه وملابساته ومتطلباته ومشاكله ثم استعراض المناهج والنظم التعليمية والتربوية لها.

المبادئ القبلية للمجتمع

كانت المبادئ القبلية تسود المجتمع البشري في الماضي، وأما الوحدات الاجتماعية الأخرى فقد كانت خارجة عن نطاق التطبيق والتنفيذ، كانت

المجتمعات تتكون والأنظمة تؤسس على وحدة الأسرة والسلالة، ولما كانت الثقافة لم يتسع نطاقها أدى ذلك إلى توطد أركان هذا المنهج وترسخ جذوره.

وكان المجتمع قبل أن يضيء عليه نور الإسلام والهداية الربانية تتوزعه النزعات القبلية والطبقية، كان الناس منقسمين إلى الحكام والمحكومين والسادة والعبيد والأقارب والأجانب، وكانوا يستوحون سلوكهم ومنهج حياتهم من هذا المبدأ الجائر، وكان الحكام والمحكومون يتسبون إلى قبائل مختلفة، كما أن نظام الرق والسيادة كان يعتمد على الأسس القبلية والسلالية، وكانت الحرب والهدنة كذلك تابعتين لهذا التمييز الطبقي والقبلي، فكانت القبيلة أي العلاقة النسبية مبدأ رئيسياً للوحدات البشرية يطبق على سائر الشؤون والمعاملات، كالتمييز بين الحق والباطل، والحكم والسياسة والوظيفة والشغل والإقامة والتوطن.

مأثرة الإسلام

فلما جاء الإسلام أعلن مبداه، للعدالة الإنسانية الشهير: «كلكم من آدم وآدم من تراب» «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى».

فوحّد المجتمع البشري على أساس التقوى والصلاح والخشية الإلهية، ولم يفصل من هذه الوحدة إلا من عارض هذا الأساس وكان من غير أهل الصلاح. فينقسم الناس في نظر الإسلام إلى قسمين: قسم الصالحين الأبرار وقسم المنحرفين الأشرار، والإنسان حر على هذا المبدأ في اختيار إحدى الوحدتين، فيستطيع المسيء أن ينضم إلى وحدة الصالحين، وبالعكس، وأما الوحدات القبلية والسلالية فلا سبيل فيها إلى هذا الانتقال والتحول.

الوحدة المادية

إن الوحدة القبلية وغيرها من الوحدات السائدة في عالمنا المعاصر تقوم على العلاقات المادية، وإذا بنى الإنسان مبدأ المصالح الشخصية والقبلية وطبقه على سائر شؤون الحياة فلن يكون الأمر إلا خاضعاً للأثرة، وهي التي تسري في

المدنية المادية المعاصرة من غلبة المصالح الفردية الشخصية بدلاً من المصالح العامة الاجتماعية، فإنه يهتم كل شخص في هذا النظام بنفسه وفكرته وأتباعه ومحبيه، هذا هو أساس الأثرة الذي كان يسود العالم القديم قائماً على دعائم القبلية وغيرها من الدعائم التي يتحكم فيها مبدأ المادة والأثرة.

الأثرة

إن النظام البشري الاجتماعي يلح - بالرغم من أنه قد تشكل اليوم في صورة ومظاهر شتى - على شموله وعالميته ووحده، ولكنه لم ينسلخ بعد من مبدأ الأثرة والتمييز، يتبناه الغرب في الحرب والسلام، والهدنة والعداء، والسياسة والاقتصاد وغيرها من قضايا الحياة، الأمر الذي يؤكد أن فكرة الأخوة العالمية قد باءت بالخيبة والفشل، فإن نبينا محمداً ﷺ أول من قدم فكرة الأخوة العالمية في حجة الوداع بصدق ونجاح، حيث نادى: «كلكم من آدم وآدم من تراب» وهذا المبدأ هو الذي كان ولا يزال يضمن الوحدة البشرية والتضامن الإنساني الشامل، وإن هيئة الأمم المتحدة الممثلة الوحيدة للأخوة العالمية وإن ثبتت في مرسومها فكرة معادلة للمبدأ النبوي الإسلامي في هذا الشأن، ولكنها لم تستطع أن تحدث أي تغيير في التمييز العنصري والسلالي والاضطهاد الطبقي الجماعي في المجتمع البشري.

فضل العالم المعاصر في تقليل الوحدات المتفرقة

قامت المجتمعات البشرية اليوم بتقليل فروق الوحدات المتفرقة، لأن انتشار الثقافة والعلم في الناس يدفعهم إلى أن يلقوا الحُجُب والستائر على المظاهر الاجتماعية الكريهة المشوهة لسمعتهم، فيرددون الفكرة القائلة بالمساواة البشرية بغض النظر عن اللون والسلالة والعنصر، ويتظاهرون بمحو الفروق الطبقية وقد كَوَّنوا نظريات وآراء مختلفة معتدلة أحياناً ومتمزعة أخرى، ولكنهم ركزوا بصفة عامة على مبدأ المساواة البشرية، الأمر الذي أدى إلى إضعاف النظام القبلي ونفوذه، وأصبحت الأمم التي تتبنى فكرة القبلية والسلالة واللون والعنصر غرضاً لنبال الطعن وسهامه.

المدرسة

ثم إن المجتمع الإسلامي التجأ إلى نظام المدرسة بجانب نظام الأسرة، ويمتازان بصلتهاما الوطيدة وعلاقتهما الوثيقة بالتربية للبشرية، بل إن النظام التربوي للمجتمع البشري يستقي منهما ويرتوي فلا ينكر ما لها من فضل ودور في مجال التربية والتعليم.

قد تطورت المدرسة في العالم المعاصر إلى نظام واسع دقيق، واحتلت مكان الوسيلة الرئيسية لتكوين المجتمع وتطويره.

فساد النظرية القبلية

قد قررت الثقافة والمدنية البشرية ضعف القوة القبلية وفسادها من نواح شتى، ولكنها تعترف بأثارها الجميلة التي لا سبيل إلى القضاء عليها وتحاول الانتفاع بها.

وعلى كل، فإن المجتمع البشري اليوم - رغم اختلاف ألوانه وتعدد أشكاله ومظاهره - قد أصبح في شكل ظاهر وحدة شاملة وفق العقلية الحديثة والتي تحاول أن تطبق عليه مبدأ الأخوة البشرية.

تأثير القومية

لكن المجتمع البشري قد اتخذ القومية منطلقه الفكري وأساسه النظري، وهذه القومية تختلف مبادئها باختلاف البلدان على أساس وحداتها المختلفة، بل والمتضاربة.

وقد حلت القومية محل الأسس والوحدات القبلية والعنصرية والطبقية القديمة.

مكانة الأسرة وقيمتها في المجتمع

كانت الأسرة هي الدائرة التربوية الوحيدة للأفراد في المجتمعات القديمة ما دامت لم تدخل في مرحلة المدنية والتقدم العلمي، وكان الكبار والمسؤولون من أفراد الأسرة فيها يتمتعون بالسلطة العليا والكلمة النافذة والقول المسموع، فكان الجد أو الأب يتمتع في الأسرة بالكلمة النافذة وحقوق التوجيه التي يملكها قائد أو زعيم في المجتمعات الراقية، وكان هؤلاء الكبار من أفراد الأسرة يحتلون مكانة المعلمين والحكام في حياة الأسرة واتجاهاتها، تؤثر أفكارهم في عقول الأسرة وتعمل إرشاداتهم في اتجاهاتها، بالإضافة إلى ما تراث الأسرة من قيم وأخلاق وعقائد من آباؤها وأسلافها، وبذلك كانت حياة المجتمعات القديمة تسير في اتجاهات معينة وعلى خطوط معينة من السيرة والآداب، وهذا النظام السائد في تلك المجتمعات في مجال التعليم والتربية كان يكفيها ويغنيها عن تأسيس المدارس واللجوء إلى طبقة معينة من الناس باسم الأساتذة والمعلمين.

وكان بعض كبراء الأسرة وعظماؤها ينالون بتقادم العهد مكانة المهابة والاحترام الزائد مما قد يبلغ إلى حد التقديس والعقيدة، وهو الذي كان يمهّد الطريق إلى الشرك والوثنية اللتين ظهرتا في شتى صورهما ومختلف أشكالهما في تاريخ الإنسان ولا تزالان باقيتين.

وكانت الأسرة تكبر فتزداد قضاياها في الحياة وتتفاقم مشاكلها وتدعو الحاجة حينئذ إلى تقسيمها وتجزئتها.

دائرة نفوذ الأسرة

تقلص حجم تأثير الأسرة وقوتها باتساع نطاقها وتطور الحياة وتقدمها وانتقال

جانب من أعمال توجيهها إلى المؤسسات الأخرى، ولكن الأحداث والصغار ممن لا يبلغون إلى حد الخروج وراء حيطان بيوتهم تبقى تربيتهم مقتصرة على النظام المنزلي المحدود في الأسرة إلى الوقت الذي يمكن فيه للناشئة أن ينضموا إلى المجتمع العام، وفيه تترى عقولهم وأفكارهم واستعداداتهم للكفاح والعمل واتجاهاتهم وأذواقهم، وتنضج نوعاً ما أيضاً، وتُشاهد آثار هذا النظام إلى اليوم إلى حدّ لا بأس به رغم انتشار المدنية الغربية وغزوها للعالم بأسره.

الأسرة في الحضارة الغربية

لقد حدث بتأثير الحضارة الغربية أن ضعف تماسك نظام الأسرة ووحدة العائلة الكبيرة فقد أضعفتها الحرية الفوضوية لأفراد الأسرة واندمجت وحدة العائلة في البيئة الكبيرة بزيادة ارتباطها بالمجتمع العام. فأنحصرت علاقة الفرد بأسرته في نطاق ضيق من الاستفادة والانتفاع، ويقدر ما يخرج عن هذا النطاق يزداد انسلاخاً عن وحدة أسرته، وتتعهد بين الآباء والأبناء العلاقات التي كانت تعتبر أقواها وأوثقها.

لكن الحضارة الغربية - رغم غزوها لكثير من المجتمعات - لم تستطع أن تبسط نفوذها على سائر المجتمعات، فإن العالم اليوم ينقسم إلى قسمين من النظام: قسم لم يفقد النظام العائلي التربوي مكانته فيه، وقسم قد فقدها.

نظام الأسرة

الكبار والشيخوخ من الأسرة هم الذين يتولون تعليم الناشئة لبناء اتجاهاتها وقيمها في النظام الأسري، وذلك بصورة تلقائية وهو منهج للتعليم انتقل من جيل إلى جيل بدون أن يجري فيه أي تعديل أو تغيير بصورة كبيرة على أساس ما يستجد من التجارب والمعارف والاكتشافات، فالكبار من أفراد الأسرة كالآباء والأجداد يحتلون مكانة مؤثرة ويملكون كلمة نافذة وهم مصادر حقيقية للتربية والتوجيه.

وجهة نظر الإسلام

يقرّ الإسلام بمكانة الكبار في الأسرة، ويرسم لهم الحدود والحقوق التي

تتسم بالاتزان والاعتدال نفسياً وبشريعاً، ويفرضها بناءً على أهميتها وقيمتها، ويفرض لها التوجيهات الربانية والتعاليم السماوية كالحدود التي ينبغي أن يراعيها الأبوان تجاه أبنائهما والمرء تجاه زوجته وبالعكس.

إن هذا النظام لم يمنح الأبوين سلطة مطلقة ولم يترك أيضاً حبل الأبناء والبنات على غاربهم، بل حدد لكل واحد حقوقه وواجباته.

وجهة نظر الغرب

لما كان صرح الحضارة الغربية قائماً على أساس الحرية فإنها ربطت نظامها التربوي العائلي بالأغراض المادية وجعلت الأفراد أحراراً مطلقين، يمنح هذا النظام الطفل حرية كاملة فله أن يختار ما بدا له من الميول والانجاهات والأفكار، لا يُفرض عليه أمر في أي شأن من الشؤون من التقاليد البيئية والأخلاق والقيم والعادات والمهن والأشغال والأمور النافعة والضارة.

فساد هذه الفكرة

يقوم هذا النظام الغربي التربوي على فكرة أنه لا ينبغي إيقاع أي صعوبة في سبيل النماء الفكري والتقدم العقلي للطفل لئلا يضر ذلك بصلاحيته للتقدم والنمو، وقد طبقت هذه النظرية في أمكنة مختلفة من العالم، ولكن لم يأت لها وحتى الآن علاج ناجح لمضارها التي تتمثل في انحراف الناشئين وشذوذهم الفكري والسلوكي، وأن مظاهر التدهور الخلقي والسلوك البهيمي والميول اللاإنسانية والتحرر والانحلال التي أصبحت الآن بمثابة أعراف شائعة في المجتمع الغربي تكاد أن تدع أصحاب الحلم والأناة حيارى مبهوتين.

علاقة الآباء بالأبناء في الحضارة الغربية

تقوم أواصر الاتصال في الأسر والبيوت المتبعة في نظام الحضارة الغربية على أساس ما يؤول منها من نفع أو ضرر، يفترق الأبناء إلى آباءهم ما داموا عاجزين عن كسب المال أو الاكتفاء الذاتي فتتقدم علاقتهم بهم على هذا الأساس المتهافت ولمدة وجوده القصير، وما أن ينتهي هذا المعجز والافتقار إلا

وتنفصم هذه العلاقة، ويستقل كل عضو من أعضاء الأسرة، ولا ترتبط بوشيجة مع غيره إلا بقدر تبادل الحاجة.

أمر الإسلام بصلة الأرحام

يوطد الإسلام بين أفراد الأسرة علاقة وثيقة قوية لا تنقطع ولا تنهار لتأكيد المتواصل المستمر على صلة الأرحام، فقد أصدر أوامر شديدة وتوجيهات قوية بشأن البر بالآباء والأمهات وخفض جناح الذل لهم سواء نفعوا أولادهم أم لم ينفعوا، وأفضل مثال على ذلك تلك التوجيهات الرشيدة التي أعادها القرآن الكريم مراراً، أردف فيها الأمر بإطاعة الله عز وجل بإطاعة الأبوين والبر بهما، ولكن لا طاعة للآباء والأمهات إذا أمروا بمعصية أو فساد في الخلق والدين، ولكن لا نهر ولا زجر، بل صيحة معهم بالمعروف يقول الله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً، وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (العنكبوت: ٨).

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه... * وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً...﴾ (لقمان: ١٤ - ١٥).

مَدْرَةُ التَّفَكِيرِ وَالاسْتِفَادَةِ لَدَى الطِّفْلِ وَتَأْثِيرُ الْأَبْوَنِ فِيهِ

مرحلتان من الطفولة

يقسم خبراء علم النفس الإنسان في مستقبل أيام حياته إلى مرحلتين: الطفولة والمراهقة، وهذا جانب أساسي من عمر كل إنسان تتمخض التربية فيه وأثارها عن نتائج عميقة وبعيدة المدى، وهذا هو العهد الذي يكون طبيعة الإنسان واتجاهاته الأساسية التي تنظم القدرات الطبيعية وتهذيبها، وهي التي تملك أهمية كبيرة وأساسية في تحديد اتجاه المستقبل وطبيعته.

تستمر مرحلة الطفولة إلى الثانية عشرة من عمر الإنسان، والمراهقة إلى عتفوان الشباب، ثم تقسم مرحلة الطفولة إلى جزأين متساويين.

الأعوام الستة الأولى

يقضي الطفل هذه الفترة من عمره داخل بيته ومع أبويه، وذلك قبل التحاقه بالمدرسة، وفيها يساهم أبواه وأسرته وحدهما في تكوينه الفكري والعقلي ويكون ارتباطه بأبويه شديداً ووثيقاً، في هذه المرحلة يدرك الطفل فيها الأشياء ويتعرف عليها عن طريق أمه، ولا يقدر أن يتوصل من ملاحظاته إلى النتائج الكبيرة أو أن يستعرض الأمور ثم يحللها تحليلاً دقيقاً، بل إنه يلاحظ الأشياء ويعتد ملاحظاته حقائق ثابتة ويكون منها رأيه ومعرفته وينظر إلى أبويه كأكبر مركز للقوة والنصرة والحماة، وكعقل إنسانين من البشر.

العقل الاستقصاري للطفل

لكن الطفل في السنة الثالثة أو الرابعة من عمره أي في المرحلة التي

يحتك فيها بأترابه من الجيران أو يلتقي بهم أو بغيرهم من الناس، يكثّر من ملاحظاته للأشياء والأحوال التي تحدث أمامه. فيطلع على الأمور الجديدة لأول مرة في حياته، ويرى موافقات ومفارقات بينه وبينهم، وقد يعجز عن فهم طائفة منها فتتسأ في عقله تساؤلات بسيطة، وهو يوجهها إلى أبويه وإلى من يتصل بهم من الكبار ويطلب منهم حل ما أشكل عليه من الأمور العويصة ويستخدم عقله الضيق إذا لم يتلقَ رداً مقنعاً، فمن واجب الكبار حينئذ أن يردوا على أسئلته ويحاولوا إقناعه لئلا ينشأ في عقله تعقيد، ولئلا يصاب بالخيبة في طموحه ورغبته لمعرفة المزيد مما يراه ويحبه في حياته المحدودة.

قصة إبراهيم عليه السلام

فكّر إبراهيم عليه السلام وهو طفل صغير في رب الأرض والسماء وخالقهما، إنه رأى كوكباً فقال: هذا ربي فلما رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي هذا أكبر، فلما أفل قال: إني لا أحب الأفلين، فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي، فلما أفلت قال: لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالّين، وهداه الله رب العالمين إلى الحق والإله الأحد.

مسؤولية الأبوين

كان إبراهيم عليه السلام قد رُزق عقلاً سامياً وفكراً عالياً فأخذ يفكر في أمر الخلق والخالق وهو في هذه السن المبكرة، وكان الله قد أكرمه بهذه المنزلة الرفيعة، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ فأمره يختلف عن عامة الناس، لكن عامة الأطفال كذلك يقومون بأعمال الفكر والنظر في ملاحظاتهم والحوادث الساذجة من حياتهم، فالردود النافعة المقنعة على أسئلتهم تحمل آثاراً عميقة وبعيدة المدى وهي فرصة قيمة للأباء والأمهات ليقوموا فيها بتكوينهم العقلي والفكري وتوجيههم توجيهاً قوياً رشيداً.

إن ما يحمله الأبوان من فكرة واعتقاد عن مبدع الكون ومن قيم ومفاهيم عن الحياة يؤثر في عقل الطفل وينقل إليه بصورة تلقائية أو غير تلقائية، ويلاحظ

أ الطفل حياتهما الشخصية واتصالهما بالمسجد أو بيئة أخرى، وسلوكهما وقيمتها، ويسأل عن كل ذلك وفق عقله الضيق المحدود فيصطبغ بصبغتهما وينصهر في بوتقتهما.

التلفزيون وتأثيره

يلعب التلفزيون دوراً كبيراً في التكوين العقلي والفكري للأطفال والصغار، إنه يسيطر على عقولهم وأذهانهم بأفلامه وبرامجه الخلابة الممتعة ويهزها هزاً عنيفاً أو هزاً يسيراً بقدر تأثير ما يقدم إليهم، وكثيراً ما يغلب عليه طابع الإفساد والهدم لا الإصلاح والبناء، إلا في نطاق ضيق محدود ووفق مصالح الآخرين، إنه يخضع للتجار في منافعهم الاقتصادية للدول والحكومات في مصالحها السياسية، ويقدم مشاهد رائعة تستهوي القلوب وتسحر الأنظار بدون أن تعنيه مهمة الإصلاح والبناء.

ولكن البيوت والأسر التي لم تغزها المدنية الحاضرة غزواً كاملاً لا يزال الآباء والأمهات فيها هم الذين يتمتعون بالسلطة المطلقة ويؤثرون في سلوك الأطفال وأخلاقهم، وهذه هي الصبغة الأولى التي قلما تمحى آثارها، ويؤيده قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

المدرسة والمرحلة الثانية من عمر الطفل

وحينما يبلغ الطفل السادسة من عمره يتسع مجال تربيته إلى المدرسة ولا يبقى محصوراً في نطاق بيته ولا مقتصرأ على الارتباط بأبويه بل يتصل بمساحة أوسع وهي فيما بين بيته إلى مدرسته، والمؤثرات التربوية المدرسية تتضامن مع مؤثرات البيت في تكوين شخصية الطفل، فيتسع نطاق تساؤلاته واستفساراته ويكون لرجال المدرسة دور بارز بجانب دور أبويه في تكوينه العقلي وتنميته الفكرية.

المنهاج التعليمي والمواضيع

وتقوم المواضيع الدراسية بتوسعة معارف الطفل وثقافته وتفتح له آفاقاً جديدة ويجد فرصة للتفكير والبحث والنظر، ولذلك يجب على واضعي المناهج

التروي والتأني واتهاج سبيل الحكمة في اختيار الموضوعات الدراسية وأسلوب التعليم والتربية .

مرحلة المراهقة

ويحمل عمر الطفل أهمية كبيرة جداً بعد الثانية عشرة منه، وذلك في مرحلة المراهقة، فإنه يقوى فيه شعوره بفهمه للأمور وبأهمية نفسه وأنه ينظر إلى سائر الملاحظات والمعارف والخبرات والتجارب بمنظار فهمه الخاص، وتزداد ثقته بعقله وينظر إلى آراء الكبار وإرشاداتهم بنظرته الخاصة فيستجيب لما يوافقه ويحجم عما يتعارض مع نظرتة في الأحوال والأوضاع، فيجب على المسؤولين عن تعليمه وتربيته في هذه المرحلة أن يسلكوا معه سبيل الحكمة، فإن التسرع وإغفال الوضع الواقعي قد يؤديان إلى نتائج خطيرة أو معكوسة، فيجب على الآباء وكبار البيت وعلى المسؤولين في المدرسة وأصحاب النفوذ والتأثير عليه في المجتمع أن يعاملوه معاملة الحكمة والتأنيس والحب.

خطورة هذه المرحلة

إن الأطفال الذين يجتازون مرحلة المراهقة وقد صانوا نفوسهم عن الانحراف فليس عليهم خطر كبير فقد أنهاوا مرحلة دقيقة معقدة من حياتهم، فإنه يرجح منهم من المرحلة الجديدة أن يبقوا طول حياتهم آمنين بصفة عامة، ولكن الفترة التي تكون قبل مرحلة البلوغ والنضج هي فترة ذات خطورة وأهمية بالغة جداً، لأنه يتنازع الطفل فيها الأهواء والنزعات المختلفة، فقد يدخل الطفل في مرحلة المراهقة وعليه ملامح التربية البيئية الصالحة ثم يتعرض للانحراف والشذوذ بفعل بعض المؤثرات والدوافع، وقد يحدث عكس ذلك فقد يدخل هذه المرحلة وهو غير مرضي في سيرته وسلوكه ولكن البيئة والتربية تؤثران عليه تأثيراً صالحاً فيستقيم منهج حياته .

وقد شوهد كثير من الناس ممن تجاوزوا هذه المرحلة من دون نظام ولا تربية صالحة أنهم تأسفوا على ضياع أوقاتهم واعترفوا بأنهم أخطؤوا في تقدير الأمور حتى تفلتت من أيديهم فرصة قيمة للتقدم والازدهار وتكوين الشخصية والذات .

آثار التربيّة البيتيّة

تدوم آثار التربية البيتيّة على الطفل طيلة حياته في صورة أقوى وأعمق فمن أهم واجبات الأبوين أن يبذلا أوسع وأخص اهتمامهما بتربية الطفل وتوجيهه الخُلقي والفكري وتكوينه تكويناً صالحاً رشيداً، فإهمال هذا الجانب والتغاضي عنه يؤدي أحياناً إلى حدوث خلل لا يسد، وعيب لا يسهل إصلاحه فيما بعد.

قدرة الأخذ لدى الطفل

وليست عملية التربية داخل البيت عملاً ذا صعوبة أو تعقيد لأن الطفل في هذه المرحلة الأولية يكون بسيطاً في عقليته وهو لا يعتمد إلا على مشاهداته ولا ينطبع إلا بالآثار الناتجة عنها، فإذا كانت البيئّة صالحة والأبوان يعيشان حياة مثالية اتجه الطفل اتجاهاً صحيحاً وضمن ذلك له تربية صالحة، فإن الطفل يعتبر أبويه أفضل نموذج للحياة والمثل الأعلى لقيم الحياة ويتخذهما أسوة لنفسه وقُدوة، فالتربية الصالحة داخل البيت مع هذه الخلفية تؤثر في الطفل تأثيراً بالغاً كمثل الأرض الميتة الهامدة التي تحيا بهبوط الغيث والمطر.

الاتصال بالله تعالى

والأساس القوي المفيد للتربية البشرية هو قاعدتان: قاعدة حب الله تعالى والاعتقاد بأنه الرب والمولى والخالق والرازق، وقاعدة الحب والاحترام للأبوين والبرّ بهما، ولقد قرن الله عز وجل في القرآن الكريم في مواضع مختلفة من سوره الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعد الاعتقاد بالتوحيد واجتناب الشرك، يقول تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ (النساء: ٣٦).

﴿لا تعبدون إلا الله. وبالوالدين إحساناً﴾ (البقرة: ٨٣).

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ (الأنعام: ١٥١).

وحيثما ننظر في حياة البشرية نجدها تنبثق من هاتين القاعدتين فقد خلقها الله رب العالمين، وسهر الوالدان على نمائها واستمرارها.

لقد خلق الله الإنسان ووفّر له أسباب الرزق ومرافق الحياة من الطعام والشراب واللباس، ولم يكن لبني آدم أن ينالوا بقاءهم واستمرار حياتهم لو أن الله لم يخلق الأرض ولم يُخرج منها ماءها، ثم إن الله أودع هذه الأسباب والمرافق في هذه الأرض فلا يوجد شيء منها في القمر أو المريخ وغيرهما من الكواكب حسبما وصل إليه علم الإنسان إلى يومنا هذا، فلو صعد إلى واحد منها أحد أفراد المخلوق فلن يجد فيه معيشة له ولا بقاء، ولكن أرضنا هذه تتوفر فيها سائر أسباب الحياة في مقدارٍ يوافق حاجة الإنسان.

ثم إن هنالك قضية الصحة والأخطار المحدقة بها، فإنه لا يستطيع الإنسان أن يعيش في هذه الأرض ولو لحظة واحدة من الزمان إلا بكلاءة من الله وحراسته، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في السر والعلانية، فلا بد إذاً من الإيمان بربوبية الله رب العالمين وفضله وإحسانه والخضوع له، ومن هنا يؤكد كتاب الهدى والفرقان على الناس بأن لا تشركوا بالله، ويذكر قول لقمان علي السلام وهو يعظ ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

العلاقة بالأبوين

وأردف الله تعالى نهيهِ عن الشرك أمره برعاية الوالدين يقول: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ ويقول: ﴿وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيماً﴾ وأمر بالطريق الوسط إذا اصطدمت إطاعة الأبوين بإطاعة الله تعالى، يقول: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾.

إذن لا بد في جو البيت - وهي الخلية الأساسية من خلايا المجتمع الإنساني وأصغر صورة للبيئة الاجتماعية - قبل كل شيء أن يُربط عقل الطفل وروحه وقلبه بالله تعالى ثم بالوالدين.

آثار بعيدة المدى لهذين الأمرين الأساسيين

إن توثق هاتين الصلتين في نفس الطفل وتغلغلها في أحشائه يتكفلان - إلى جانب الشكر لنعم الله تعالى وعرقان الجميل للوالدين - بحياة سعيدة قريمة له في المستقبل.

إن الاتصال بالله تعالى والخوف منه في الشؤون الدينية والخلقية هما أكبر عامل ودافع لإصلاح الحياة، بينما يقوم الوالدان بحماية الطفل وبأخذان بيده إلى الصلاح والإنماء في الشؤون الفردية والجماعية أو يقوم بذلك من ينوب عنهما. فالإتصال بالله تعالى ثم بالوالدين من أساسيات بناء الحياة الفردية والجماعية كليهما.

ضرورة التأكيد على كلتا الصلتين

يجب على الأبوين أن يركزا عنايتهما على توثيق هاتين الصلتين وترسيخ جذورهما في الطفل، وأن يهتما - نظراً إلى عقله البسيط - بتعليمه أن الله هو الذي خلق الناس جميعاً، وأبدع الإنسان والكون وهو الرزاق والمحيي والمميت، وهو المستحق للمحبة والولاء لأنه رزق كل شيء ووفر الأسباب جميعاً، وهو المستحق لأن يُخاف ويُخشى منه، فإنه يؤاخذ على الذنوب والآثام، ثم يجب على الأبوين أن ينميا في الطفل روح البرّ بالوالدين وشكر المحسنين إليه وتوقيرهم وإطاعتهم.

الترغيب في التحلي بالأعمال الصالحة

ومن الواجب كذلك إنماء الميل إلى الأعمال الصالحة والرغبة إليها وكراهية السيئات والمنكرات في نفس الطفل، وينفع في ذلك ذكر الشخصيات الصالحة السابقة وذكر قصص الصلاح والبرّ ومكارم الأخلاق، وكيف نالت بذلك احترام

الناس وتبجيلهم لهذه الخصائص الصالحة وحبهم لها، ثم كيف نالت أعمال أصحاب الشر والفساد كراهية الناس وتذمرهم بهم وابتعادهم عنهم، ولَمَّا كان من طبيعة الإنسان المحاكاة في كل ما يحبه ويعجبه من غيره والابتعاد عما يكرهه منه فإن هذه القصص تلعب دوراً رائعاً في تربيته وتكوينه وينبغي تكوين طبيعة حب الصدق والخير والعدل وكراهية الكذب والظلم وتوقير الكبار والشفقة على الصغار عن طريق القصص والطرائف والنوادر، وإذا تمكنت هذه الخصال من القلب في الصغر والطفولة فإن آثارها ورغبة النفس إليها لن تمحى طول الحياة، وإن قصص الأنبياء والصالحين تغني عن كثير من المواعظ والتوجيهات والأحاديث الحسنة الجميلة، فإنها بالمنهج القصصي تحمل تأثيراً نفسياً كبيراً.

حياة المرئيين

ويجب كذلك على الأبوين والمسؤولين عن التربية في جو البيت أن لا تناقض سيرتهم وسلوكهم توجيهاتهم وإرشاداتهم التي يركزون عليها، فإن الطفل - رغم قدرته العقلية القاصرة - يشعر بهذا التناقض وحينئذٍ تخيب الأمانى الحلوة في سبيل تربيته وتوجيهه.

المعارف العامة

وعندما يكبر الطفل ويتسع نطاق عقله وتفكيره يجب لفت نظره واسترعاء انتباهه إلى ما يحسن حياته ويزينها، ويجب إطلاعه على المعارف التي تتصل بالحياة البشرية من المعارف الاجتماعية، مثل التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع مما يناسب الطفل وينفعه، فإن ذلك يكون مدخلاً له إلى التربية العلمية، وهو يساعد في تثبيت القيم والتصورات الصالحة والمفيدة، ولا بد من ربط كل ذلك بقدرة الله تعالى ونعمته على عباده.

آداب المعاشرة

وبناء على إطلاع الطفل على البيئة الخارجية واتصاله بها يجب على المسؤولين عن تربيته أن يعلموه آداب المعاشرة والسلوك الحسن تجاه الطبقات

المختلفة من الأقارب والجيران والضيوف والأحبة والأصدقاء والكبار والصغار مما يتصل بشؤون الحياة الاجتماعية، وهذا كله واجب التربية البيئية.

وينبغي كذلك في هذه المرحلة تعليمه الأمور الأساسية من اللغة والثقافة العامة، ولكن بأسلوب ينسجم مع عقله المحدود ويوافق معتقداته وأفكاره.

ولا تنتهي مسؤولية التربية البيئية إذا التحق الطفل بالمدرسة واتسع نطاق تربيته إلى المجتمع العام، بل إنما تستمر إلى جنب التربية في مجالات الحياة العامة خارج البيت، ومن واجب البيت في هذه المرحلة كذلك مراجعة الطفل والنظر في نشاطاته وممارساته.

الارتباط بالقرآن والسنة

إن القرآن الكريم الذي هو أهم وأشمل كتاب عالج موضوع التربية البشرية، وإن السنة النبوية التي جاءت تفسيراً له وبياناً له هما مؤسسة تربية بذاتهما، فلا بد للصغار والكبار في البيت والمدرسة والمجتمع أن يربطوا نفوسهم بهذه المؤسسة التربوية القيمة، فيجب أن تتركز عنايتهم على تلاوة القرآن الكريم ودراسته وفهم معانيه والاصطباغ بصبغته في الصغر، فإن آثار ذلك سوف تبقى فيهم مدى الحياة، وهذا أيضاً جزء من مسؤوليات البيت.

امتداد الاتصال بالبيت

من واجب التربية البيئية كذلك أن يرعى الطفل على حب البيت والاتصال به حتى لا تنقطع صلته به، ويمكن له الاستمداد منه فيما يُعوّزه ويفيده من سيرته وأخلاقه وعواطفه الطيبة، وهكذا يدوم اتصاله بمركز تربوي دائم في كل مرحلة من مراحل حياته، وذلك يساعده في إنشاء الوحدة الفكرية والثقافية والذوقية فيه.

المجال المدرسي للتربية

بداية التعليم المنهجي

يتمتع الطفل بنظام تربوي مستقل في داخل بيته وذلك إلى السنة الثالثة أو الرابعة من عمره، يتأثر بهذا النظام ويستفيد منه ثم يمتد اتصاله إلى المجال المدرسي وتبدأ بذلك مساهمة المدرسة مع البيت في تربية الطفل وتعليمه، فيبدأ الطفل بدراسة كتاب في مدرسة أو لدى معلم وذلك تحت منهج دراسي مخطط تخطيطاً علمياً.

قسم التعليم الديني

تتصدر العلوم الدينية في المناهج التعليمية والمقررات الدراسية في المجتمعات الدينية، ويبدأ تعليمها بتعليم حروف الهجاء من الكتاب الديني الأفضل وهو القرآن الكريم، فالتعريف بحروف القرآن الكريم هو مبدأ التعليم في المسلمين ولكن هذا المنهج قد اعتراه الضعف نتيجة ضعف التصورات الدينية وضعف أهمية الدين في نظر المثقفين الجدد، وبعد الاطلاع على حروف الهجاء والتمييز بينها يشتغل الطفل بتعلم القرآن الكريم قراءة ونطقاً، وبالإضافة إلى ذلك يختار لدراسته قصص وأحاديث تنسجم مع روح الدين وتعاليمه، وهذه المرحلة الأساسية تتبعها مرحلة تعليم اللغة والمعارف العامة ويكون تخطيطها حسب ظروف المنهج وحاجاته وآماله على رغبة أبويه وأوليائه.

منهج آخر

أما المجتمعات غير الدينية فإنها تبدأ عملية التعليم بتعليم اللغة بالتعريف

بالحروف أولاً ثم تصنيف إليها مقررات الحساب ومعارف الحياة الأخرى حسب قدرة الطفل وكفاءته.

ويكون التعليم الابتدائي في المدرسة مماثلاً للتربية البيتية أو مدانياً لها، وبذلك لا يشعر الطفل بأي غرابة أو جفوة بل يأنس إليه ويرى فيه لذة ومتعة، مادام لا يواجه الطفل في المدرسة قسوة لا تقبلها نفسه أو إكراهاً على أمر لا ترزضه نفسه، وإذا وقع ذلك فإنه يكره المدرسة والمعلم ويراهما من أسباب الظلم والإكراه على نفسه وبليّة من البلايا.

أهمية السمع والبصر في التعليم

يعتمد التعليم على أساسين: السمع والبصر، ويعني السمع تلقين الطفل وتعليمه نظرياً وإذا انفرد هذا الأسلوب فإنه يكون أسلوباً خشيباً جافاً لا يتنفع به الطفل إلا قليلاً، ولا يرتاح إليه، سواء كان في البيت أو كان في المدرسة، وأما التعليم عن طريق البصر، فإنه أنفع وأجدى، ولا شك أن كثيراً من جوانب العلم والمعرفة لا يمكن تعريفها وإيضاحها بمجرد الاعتماد على الرؤية والمشاهدة، ويصبح حينئذ من الضروري اختيار الوسائل السمعية، ولن يمكن معالجة هذه المشكلة إلا بالتعليم التطبيقي الذي يعتمد فيه الطفل على السمع والبصر معاً كاستخدام السبورة في المدارس، واختيار طرق المشاهدة فيها وفي غيرها، وتؤكد التجارب أن الطفل أشد استجابة للدرس التي يُستعان في شرحها بالسبورة أو المشاهدة وأسرع استساغة لها.

لا يقتصر استخدام حاستي السمع والبصر لأجل اكتساب العلم والمعرفة على الإنسان فحسب، بل إن الله تعالى قد ألهم الدوابّ والبهائم أيضاً استخدامها، فالقرد يحاكي ما يشاهد، بحكم طبيعته الغريزية، والبيغاء تردّد ما تلقن من الكلمات والجمل، حتى إن الناس بدؤوا يضربون المثل بالقرود في المحاكاة والتقليد وبالبيغاء في ترديد الكلمات والأقوال. وغريزة المحاكاة والتقليد

قد أودعت في كثير من الحيوانات بصورة كبيرة فهي تستطيع أن تحاكي الإنسان في أعماله ونشاطاته بعد ممارسة شيء من التدريب والتعليم.

بين الإنسان والحيوان

إن بعض خبراء علم النفس يجربون عملية التعليم والتربية على الحيوانات كذلك، بل ويسوون بين الإنسان والحيوان ويرون أن الإنسان لا يفضل على الحيوان إلا بميزة العقل، ومن أجل ذلك فإنهم يحاولون أن يعرفوا الحيوان أولاً كنموذج تمهيدي لمعرفة الإنسان ويعتبرون إجراء التجارب على الحيوان ودراسة طبيعته وحاله ونشاطاته الوظيفية منطلقاً لدراسة طبيعة الإنسان وقرائنه، ولكن هذا ليس منهجاً متكاملًا لمعرفة حقيقة الإنسان وطبيعته وحاله، وإن كان لا بأس فيه إذا كان لمجرد الاستعانة في جوانب من حياة الإنسان، ولذلك يرفض علماء الدين هذا المنهج إذا كان يستخدم كمنهج متكامل، ولقد لجأ إلى هذا المنهج المؤمنون بنظرية الفيلسوف الغربي المعروف دارون الذي ابتدع الفكرة القائلة بجمع أصل الإنسان وأصل الحيوان في مصدر واحد وقرّر أن الإنسان كائن تطور من القرد، كما أن القرد تطور من غيره من الدوابّ ومن الحشرات المائية.

أجوانب المهمة من المدرسة

عملية التعليم في المدرسة

يواصل الطفل تعليمه في المدرسة إلى نهاية المستوى العام، وبعد ذلك يأخذ المنهاج التعليمي في الاتساع والتعمق، ولكن النظام التعليمي المدرسي لا يقطع صلة الطفل عن بيته بل إنما يبسط تأثيره ونفوذه شيئاً فشيئاً حتى يكاد يغنيه عن البيت، وهو يؤدي دوراً خطيراً في تكوين فكره واتجاهاته.

أبعاد النظام المدرسي

يتكون النظام المدرسي من ثلاثة أطراف:

- ١ - المعلمين والقائمين على التعليم.
- ٢ - منهاج التعليم ومواده.
- ٣ - الطلاب.

ولكل من هذه الثلاثة قيمته ودوره وله قضاياه ومجالات عمله وله مقتضياته التي يجب العناية بها ورعايتها.

المعلم والمشرف على التعليم

أما المعلم فتاريخه ضارب في القدم، ولم يزل الناس يعترفون بسلطته ونفوذه، وأما المشرف على التعليم فإنما يرجع عهده إلى حين تطور نظام المدرسة، وكان المعلم قبل ذلك هو المسؤول عن سائر الشؤون التعليمية.

إن المشرف - رغم خطورته - لا يؤثر في التعليم والطلاب إلا قليلاً، ولا يعنيه إلا توفير التسهيلات والتنظيم والتنسيق، والمساعدة في إنجاز الأعمال على

المستوى المطلوب، بينما نرى أن المعلم يحمل تأثيراً بالغاً ونفوذاً كبيراً، وهو الذي تدين له الحياة البشرية في بنائها وتكوينها عبر التاريخ، والمعلم يملك قدرة النفوذ إلى نفس الطالب، سواء كان في مدرسة أو في حارة أو في زاوية من الزوايا.

مكان المعلم

كان المعلم العماد الوحيد قديماً عندما لم يكن النظام التعليمي قد اتسع نطاقه، وكان يتمتع بهذا الشرف بلا منازع، ولما تطور نظام التعليم لم يفقد أيضاً مكانته، ولا تزال المؤسسات التعليمية الموحدة في الشرق والغرب تمنح المعلم رتبة عالية ومكانة رفيعة يعتمد الطالب فيها على المعلم ما لا يعتمد على الجهات المسؤولة الأخرى، وهو الذي يعلم الطالب، ويراقب شؤونه، ويقدر مواهبه، ويده أمر الفوز والسقوط في الامتحان، وإليه ترجع الهيئة الإدارية في سائر إجراءاتها، فإننا نرى أمثلة ذلك في جامعات الغرب الكبرى أيضاً مثل جامعة أكسفورد وجامعة كمبريدج وغيرها.

ولم يزل المعلم يتمتع بهذه المكانة في التاريخ الإسلامي، فقد كانوا يعملون عليه في النظام التعليمي وإليه يستندون، ومكانة المعلم في الإسلام مكانة كبيرة، إنه ينتمي إلى رسول الإسلام محمد ﷺ فهو أول معلم في الإسلام، فقد وصفه الله تعالى بهذه الصفة بقوله: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ويدخل في الكتاب الأوامر الإلهية في الدين الإسلامي، ويدخل في الحكمة آداب السيرة والسلوك، وبذلك كان الرسول ﷺ معلماً جامعاً، وهو القدوة والأسوة، ونال المعلم في التاريخ الإسلامي التقدير والإعظام دائماً حتى قال الشاعر العربي الكبير شوقي:

قم للمعلم وقِّمهُ التَّبَجِيلَا كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا

وذلك لأن المعلم هو مصنع الرجال، يصوغهم في قوالب المعرفة والعلم وقوالب السيرة والسلوك، فهو لتلميذه مثل الوالد لولده، إنه لا يلدّه ولكنه يصوغه

ويصنعه، فمركزه في المجتمع مركز مهم وخطير، فإن كان محسناً جاء المجتمع حسناً وإن كان مسيئاً جاء المجتمع فاسداً منحرفاً.

الطالب وموادّ التعليم

أما الطرفان الآخران فبجنب الطرف الأول من النظام التعليمي إنما يملكان قيمة كبيرة أيضاً في شأن عملية التعليم، مهما كان منهج التعليم ونظامه، وهما الطالب نفسه وموادّ التعليم التي يتلقاها.

● أما الطالب فهو إما أن يكتسب المعرفة والعلم بصورة تلقائية، فهو إذن يعتمد في ذلك على حاستي سمعه وبصره دون الاعتماد على تعلم معين فتكون عملية التعليم له حينئذ بطريقة مباشرة وطبيعية بدون توسط من معلم معين ومدرسة يلتحق بها، ويلقى الطالب بذلك طائفة من المعارف الإنسانية وقد يصيب الهدف ولا يخطئ المرمى.

ولكن لا ينفع هذا المنهج إلا عن كان ذكياً قوي العقل، وهو منهج بسيط سطحي لا تكثر به المعرفة ولا تكون عميقة، وأما التعليم بالطريقة الفنية التي يكون الوسيط فيها الأستاذ والمدرسة فيعم نفعه الأذكاء والأغبياء جميعاً، وتوضع له نظم مدروسة وأساليب مترنة.

موادّ التعليم

● أما موادّ التعليم فأمرها مهم خطير ومعقد كذلك، إنما يتصرف في شأنها المعلم أو المشرف ويجعلها خاضعة لاتجاهه وذوقه، ويستغلها لأهدافه وأفكاره، وقد تهتم الجهات المشرفة على التعليم بتقريرها وفق رغباتها وآمالها، فلا يتأتى من ثمرات التعليم بها إلا كما يرغب إليه المشرفون على التعليم، ومنذ أن بسطت الحكومات نفوذها على مجال التعليم بدأت تتحكم فيه وتفرض عليه أوامرها ونواهيها، فالحكومات الدينية تطبع موادّ التعليم بطابعها وتصهرها في بوتقتها، والحكومات العلمانية تصبغها بصبغتها وتصوغها في قالبها، كذلك الحكومات المتحررة المستبدة تفرض عليها أهواءها وإراداتها، ولقد أصبح التعليم

من أهم وسائل التأثير على المتعلمين، وأصبح تحصيله للناس من ضروريات الحياة وعظم شيعه في الناس، وأصبحت المواد التي يتلقونها أداة فعّالة لصياغة اتجاهاتهم وميولهم، فاختيار المواد الدراسية وفرضها وتقريرها وسيلة فعّالة للتكوين العقلي للجماهير المثقفة، والمثقفون هم الذين يحتلون مكانة التوجيه والإرشاد للجماهير، فتخضع الجماهير للاتجاهات التي يفرضها المثقفون عليهم والتي تنشأ لديهم من المواد الدراسية التي يتلقونها من نظام التعليم السائد في البلاد.

استمرارية العمل التعليمي

لقد أدت عملية التعليم بموادها المختارة دور المحافظة على المعارف المستقاة من تجارب القدماء، وأدت دور الاحتفاظ بالقيم والأفكار المتوارثة، وكانت ذريعة لنقل المهن والصناعات، فالتعليم كان عملية تتسم بالاستمرارية وتعمل لنقل ما تواضعت عليه الأجيال والبيوتات وتوارثته من القيم والمفاهيم والحرف والمهن.

محورية الكتاب

ظلت موادّ التعليم تعتمد في الغالب على الثروة العلمية المتوارثة جيلاً بعد جيل، وهي تركزت في قوالب الكتب منذ أن صار التعليم عملاً منظماً، وبذلك قد يصبح الكتاب المدرسي هو المحور والمنطلق في عملية التعليم، ويصبح من المفروض على الطالب إذن أن يحصر نفسه في نطاقه ويركز فكره وعقله على فهم نصوصه وإدراك معانيها، ويلزم الطالب بالتقيد بهذا النظام - بصرف النظر عن مستواه العقلي وضعفه ومقتضياته - على منهج محدد خشيب لممارسة عقلية وفكرية مجحفة، فلقد وقع ذلك بصورة عامة في عهود الانحطاط في المسلمين، فلقد حاول المسؤولون عن التعليم والمشرفون عليه بنية حسنة أن يغلّقوا على الكتب المدرسية المقررة الأبواب ملتزمين بموادّ ومقرراتٍ معينة محدودة قلّما يرضون عنها بديلاً، بل ويرون إجراء أي إصلاح أو تغيير تجاهها ذنباً لا يغتفر.

وهو بدون شك عمل طيب في شأن المأثورات الدينية وكتب العقائد والشريعة ومعارف القرآن والسنة، وإن إدخال أي نفي وتبديل في هذه النصوص

الطاهرة الخالدة مرفوض بتاتاً، ولكن لا يوجد أي مبرر للتصلب في المناهج والوسائل التي ليست من الحقائق الدينية ولا النصوص المقدسة الخالدة، بل هي خاصة بالخبرات والتجارب الإنسانية العملية، إنه لا يُرجى من مثل هذا التصلب والتحجر أن يراعى فيه نفسية الطالب ومتطلباته وحاجاته المشروعة، بل إنه يصرف النظر عنها ويستند إلى وسائل الإلزام والإكراه والفرص وبذلك يفقد التعليم من الدارسين الإصغاء والإقبال، بل قد تعافه النفوس وتكرهه، وتعد الدراسة كأنه علقم أو دواء مرّ لا يُستساغ.

لا يخلو هذا المنهج من الإيجابيات كذلك

ولهذا المنهج إيجابيات وفوائد كذلك، وهي أن التركيز على الكتاب يضبط العقل ويدرب التفكير وينمي ويدفع الطالب إلى بذل الجهد والمشقة في حلّ المتون والتركيز عليه، وهو يساعد في تحييد الأذهان وإثارة قوة البحث والتنقيب والتدقيق، وهذه منافع لا تُنكر ويجب الاستفادة منها في مجالات تقتضيها أو يناسب الاعتماد عليها، ولاختيارها مواضع ومجالات يمكن معرفتها بدراسة الوضع دراسة متزنة خاصة، ولكن مضاراً هذا المنهج أشد وأكبر، فإنه يُحدث على عقلية القارئ التعقيد ويلقي عليها ثقلاً قد يتعب ذهن الطالب ويجعله عاجزاً عن احتمال هذا العبء الثقيل، وهذا المنهج لتحجره وجفافه مما قد يؤدي إلى تنفير الطالب من التعليم وقطع صلته به.

المنهج والكتاب وسيلتان

ليس المنهج والكتاب إلا وسيلتين لعملية التعليم ويجب أن يعتبروا وسيلتين لا غايتين فإحلالهما محل الغايات لن يكون خطأ فحسب، بل يأتي بنتائج غير مرضية ولا مفيدة، ولقد اعتبرهما المسلمون في عهود نهضتهم وازدهارهم كوسائل وذرائع للتعليم، وقاموا بتقريرهما بطريقة تتلاءم مع أهدافهم العلمية فنجحوا وفاقوا غيرهم من الأمم وسادوها، واستفادت منهم الأمم الأخرى واعتبروهم أساتذتهم واقتبسوا منهم فتقدمت وترقت، ولكن منذ أن سرى إلى المسلمين الانحطاط والخمود والتحجر اتبعوا أساليب فقدت قوتها وخلت من التأثير، ولقد

انتقدها علماء فلسفة التعليم من أسلاف المسلمين ولفتوا النظر إلى تطوير منهج التعليم فقد بسط ابن خلدون في مقدمته الكلام عن ذلك وأجاد.

موقف الغرب

بدأت اليقظة الحديثة في أوروبا في القرن الثامن عشر المسيحي إذ بدأت تستقبل أشعة المدنية والعلم، اكتسحتها أولاً ثورة ضد الاستبداد في نظام الحكم والدين، واشتدت هذه الثورة وتحولت إلى الثار والانتقام، وعمت روح القضاء على أفكار الدين وعقائده بسبب مساندة الدين لطفاة الحكم والمستبدين ولتمسك علماء الدين بآراء لا صلة لها بالدين وأثبتت التجارب لطلابها، فكان من أثر ذلك أن أفضى الأمر إلى رفض المنهاج التعليمي الذي كان الدين يتولاه ويشرف عليه، والذي كان المعلم والكتاب يحملان في هذا المنهاج أهمية مركزية، فجاء النظام الجديد ونقل الأهمية كلها إلى الطالب، وأصبح الطالب أحياناً هو القطب الذي بدأت تدور حوله رحي النظام التعليمي في الغرب.

حرية الفرد

انطلقت هذه الفكرة من حرية الفرد، وكان روسو هو أول من بنى هذه الفكرة وقدمها ودعا إليها، وكانت فكرة أسفرت عن اندلاع الثورة في فرنسا، وتحولت الملوكية إلى الديمقراطية، وكان هذا أول نظام ديمقراطي في أوروبا، وأثرت هذه النظرية في النواحي الأخرى للحياة من السياسة والاقتصاد والتعليم ووجدت سبيلها إلى النمو وازدهار.

تأثيرها في التعليم

سلبت هذه النظرية ما للمعلم ومواد التعليم من أهمية ومكانة كبيرة في النظام التعليمي ومنحت الطفل الأهمية الكبرى، وربطت بما يصدر عنه من عمل ونشاط العناية والاهتمام ومنحته المكانة الرئيسية وجعلت للطفل حرية زائدة بشرط أن لا تصطدم مع حريات الآخرين، وليس المعلم في هذا النظام التعليمي إلا بمثابة ناظر أو مراقب يراقب شؤون الطفل ويعمل لتسهيل عملية التعليم له وتشجيعه ومساعدته بطريقة لا تصطدم بميول الطالب وذوقه واتجاهه.

تأثير علم النفس في التعليم

اعتمدت هذه النظرية التعليمية على التجارب الحاصلة من الدراسات النفسية وأثرت فيها تجارب العالم النفسي (فرويد) فقد كان ممن هزت آراؤهم وأفكارهم في الغرب النظريات القديمة وزعزعت أركانها، وتطرق موضوع علم النفس إلى مجال التربية تدريجياً وامتد نطاق البحث النفسي إلى الحيوانات كذلك، وحاول خبراء علم النفس تطبيقه على سائر الكائنات الحية التي تشبه الإنسان، وطالبوا بمراعاة نفسية الطفل في مراحلها المختلفة والفروق النفسية بين طفل وطفل.

النظر إلى قدرات الطفل

وكان «روسو» يشير من خلال تأكيده على شخصية الطفل الفردية إلى أنه يستحق كل تقدير واحترام رغم ما يملكه من قصور وعجز وأنه لا يصح أن يعامل كل الأطفال معاملة واحدة وأن من احترام شخصية الطفل الفردية أن لا يعلم الطفل إلا ما يوافق كفاءته وقدرته ولا يفرض عليه شيء قسراً.

الفرق بين طفل وطفل

ولما كان الأطفال الذين يجتمعون في بيئة خاصة لاكتساب العلم والمعرفة يختلفون فيما بينهم في الميول والصفات وفي الأذواق والاتجاهات نحو اختيار الموضوعات والهوايات، فالتسوية بينهم في معاملتهم تعني مراعاة البعض وإهمال الآخرين، وليس هذا أمراً مستقيماً.

النظريات التعليمية السائدة

النظام التعليمي المركز على الطفل

إن ما قدمه «روسو» من نظرية مراعاة الفروق الطبيعية بين طفل وطفل قلب تيار المناهج التعليمية في أوروبا وغير مجراها، وكان ذلك في الواقع ثورة ضد النظام التعليمي المركز على الكتاب، وتركت هذه الثورة آثاراً بعيدة المدى على النظم والمناهج التابعة للمحضرة الغربية وساعدت في انتشار النظام التعليمي المركز على الطفل.

منهج بستالوزي

عاش «روسو» فترة ما بين عام ١٧١٢ م وعام ١٧٧٨ م ونشأ بعده من أتباعه «بستالوزي» الذي اهتم بموضوع تعليم الأطفال وجعله مجالاً لعمله، وقام بمحاولات جادة تجاه نشر أفكار روسو بصورة تطبيقية، وزاد عليه فكرة: هي أنه لا يكفي أن يكون في مجال التعليم مراعاة الفرق بين طفل وطفل في الكفاءة والاستعداد، بل يجب أن يعلم أن التعليم حق لكل طفل ولا بد من إعطائه هذا الحق، ثم إنه أعار الاهتمام بمراعاة مصالح الطبقات المختلفة أيضاً في التعليم، وبناءً على ذلك أدخل النسيج والغزل والشؤون الأهلية والوظائف البيتية في موضوع التعليم حتى تتمكن سائر الطبقات من المجتمع من إحداث التوفيق والانسجام بين تعليمها ووظائفها ومهمتها.

استفادة من البيئة

يرى بستالوزي أنه لا بد أن توفر للطفل فرص اكتساب المعارف من البيئة والمجتمع مباشرة، ولا ينبغي أن يتكفل على الكتاب وحده، وقام باكتشاف منهج

دروس الأشياء الذي تعتمد فيه الدراسة على ملاحظة الأشياء، وبذلك يستخدم الأطفال اهتمامهم بملاحظة الأشياء وتلقي المعرفة عن طريقها.

منهج فزويل

وجاء فزويل فزاد على بستالوزي، وركز على أن الطفولة البدائية أهم وأخطر وأحق بالاهتمام والاعتناء فلا بد من زيادة العناية بتلك المرحلة من عمر الطفل، وأكد على أنه لا يمكن تحقيق هدف واقعي منشود إلا بإصلاح المنهج التعليمي في المدرسة.

روضة الأطفال

وأعار اهتماماً كبيراً بروضة الأطفال، وإليه ترجع هذه التسمية، فإنه ركز على مراعاة طبيعة الأطفال وذوقهم، وأدخل في مناهجهم التعليمي أنواع الملاعب والأغاني والمسرحيات التي يستطيع بها الصغار إبراز شخصياتهم.

منهج مونتسري

وقامت سيدة إيطالية اسمها مونتسري بالاهتمام بفكرة التعليم من وجهة نظر جديدة إنها قامت أصلاً بنشر النظرية التعليمية لفزويل، وذلك في نحو منتصف القرن العشرين، إنها كانت طبيبة فمارست مهنتها لمدة سبع سنين ووقفت نفسها على معالجة الأطفال ودراسة نفسياتهم، وحققت تجارب ناجحة، وألمت بمشاكلهم ومشاعرهم، وأدّت بها دراستها إلى فكرة أن الطفل إنما يجب إطلاق عنانة في التعليم فلا يعلم إلا ما شاء وكيف شاء وسَمّت هذا المنهج «بالتعليم المستقل» ولقد كان من رأيها أن الطفل هو نفسه مسؤول عن تعليمه فلا يحق لأحد أن يتدخل في شؤونه خلال مراحل التعليمية.

وطبقت نظرية مونتسري في البلدان المختلفة وأسست مدارس كثيرة على هذا المنهج وانتشرت مدارس مونتسري وروضات الأطفال في كثير من أنحاء العالم.

عجز النظام التعليمي المركّز على الطفل

لكن النظام التعليمي المركّز على الطفل بما فيه منهج مونتسري والمناهج التعليمية الأخرى لم يعالج المشاكل والمصاعب معالجة لائقة، ولقد تضمن هذا النظام التعليمي ثلاث نقاط رئيسية:

١ - أن تدرس متطلبات الطفل ويركز على مراعاتها وتغطيتها.

٢ - أن تدرس هواياته وميوله واتجاهاته.

٣ - أن تدرس فرديته، أي: ما يتسم به من فروق عقلية واجتماعية بالنسبة لغيره من الأطفال، وتلاحظ الجوانب الرئيسية من حياته وبيئته وعلاقاته.

أما متطلبات الطفل فدراستها ومراعاتها مراعاة كاملة أمر صعب ودقيق لا يتيسر، ومن الذي يقوم بتحديدتها وضبطها؟ ثم إن هوايات الطفل واتجاهاته لا يتيسر للباحث فيها أن ينظر بصورة مطلقة، وكيف يستطيع الطفل أن يميز بين الضار والنافع؟ أفيكون في صالح بيئته وتربيته أن يترك وشأنه؟ أفلا يكون من تهديم شخصيته أن ترفع القيود عن أهوائه؟.

أما فرديته فإن مراعاتها توسع الفجوات الطبيعية، وتنال من وحدة المجتمع، ولعل هذه هي العقبات والمراقيل التي حالت دون انتشار نظريات فزويل ومونتسري في العالم الغربي انتشاراً تاماً، ودفعت الناس إلى أن يطبقوا النظام التعليمي المركّز على الطفل في ضوء تجاربهم ودخل نطاق القيود والالتزامات.

خطة دالتون

ونتجت عن منهج مونتسري تجارب جديدة منها خطة دالتون التي تعتنى بالكبار من الطلاب ولا تطبق إلا على الطلاب الذين قد قطعوا المراحل الأساسية من القراءة والكتابة ونشأ في نفوسهم نوع من الثقة بالنفس والاعتماد على الذات.

تركّز هذه الخطة على إلقاء مسؤولية التعليم على الطالب نفسه، أما المعلم فيناقش متعلّمه ويتجادب أطراف الحديث معه ويتركه يمارس نشاطاته المختلفة

حرّاً طليقاً، ولا يهتم المعلم إلا أن يزود غرفته بالوسائل التعليمية اللازمة ويفسر له الموضوع وأبعاده في أسلوب حسن رائع؛ ويساعده في معالجة مشاكله ويشرح النقاط الدقيقة، وتختص خطة دالتون هذه بالكبار وحدهم فلا ترد عليها تلك الانتقادات التي ترد على النظريات التعليمية للصغار، ولكن الحرية المطلقة التي تنص عليها خطة دالتون قد تأتي بمشكلة أو عرقلة في الاحتفاظ بوحدة المجتمع وتضامنه.

المناهج والمقررات الدراسية

أهمية المناهج التعليمية

إن للمناهج التعليمي والتربوي اتصالاً وثيقاً بأهداف التعليم والتربية، وهو يصبغ الطالب بصبغة يريدها واضعوا المناهج، وتتكون الأجيال وفق المقررات الدراسية التابعة له فلا بد من رعاية هذه العلاقة التي توجد بين المناهج والنتائج، ومن الضروري أن توضع المناهج حسب الأهداف المطلوبة

بين المناهج والقيم والطموحات

يفضل المعنيون بالتعليم والتربية مناهج ومقررات تعكس الطموحات والقيم التي يتوابع عليها مجتمعهم، ويختارونها حتى يبنوا جيلهم الناشئ بناءً يحقق الصورة التي يريدها لازدهاره وتقدمه، ولكن إعداد هذه المناهج والمقررات وتحديدتها يتوقف على إدراك مشاكل المجتمع وقضاياها إدراكاً واقعياً، فإنه لا ينشأ، والتوافق والالتزام بين الحاجة والمناهج ما دام المعنيون بإعدادها لا يدركون هذه المشاكل.

كانت قضية المناهج في القديم بسيطة

لم تكن المشاكل والقضايا قد بلغت في القديم من التعقد والاتساع إلى حد يصعب إدراكه، فقد كانت الحياة تتسم بالبساطة واليسر والاقتصار على النطاق البيئي. ولما كان الإنسان يمارس نشاطاً خارج أسرته وبيئته ومناخه، كانت حياته تقتصر على قيم مجتمعه ومشاكله وقضاياه المحدودة، وكان يتلقى جزءاً كبيراً من تربيته في دائرة مجتمعه وأسرته بصورة عملية، وكان يقع ذلك بصورة خاصة في اكتساب الصناعة والفن، فلم تكن هذه الفنون تحتاج إلى مناهج تعليمية منظمة،

ولذلك كانت الطريقة المنهجية للتعليم بسيطة ومحدودة وكانت موارد اللغة والأدب والدين غالبية المواد التي كان التعليم يدور حولها.

اللغة والأدب

كان هذا الجزء التعليمي يشمل الخلق والدين كذلك، لأن التعليم الديني والخلقي لا يعني الدراسة في كتب دينية معينة وكتب خلقية هامة وحدها، وبذلك كان التعليم المنهجي يشمل بصورة غالبية مواد اللغة والأدب والدين والخلق، ثم أضيف إليها المنطق والفلسفة والحكمة في عهود العلم والمدنية وأضيف الطب والعلوم من الهندسة والحساب وغيرها أيضاً، ولكن لم يتسع المنهج التعليمي اتساعاً كبيراً، ولم تكثر مواده كثرة كبيرة.

تأثير التقدم العلمي الحديث في المناهج الدراسية

لكن الانتصارات الهائلة التي أحرزتها أوروبا في مجال العلم والصناعة أحدثت ثورة علمية كبيرة بجانب تأثيرها في أساليب الحياة ومرافقتها العامة في المناهج والنظم التعليمية كذلك.

تأثير العلم في الدين

إن انتصار العلم أثر على القيم الدينية الغربية أيضاً، وذلك بظهور صراع عنيف بين العلم والدين، وذلك أدى إلى تقليص أهمية الدين وتهوين قيمته، وبذلك انهارت القيم والمثل القائمة على أساس الدين وتضاءلت المواد الدينية من المناهج التعليمية، وأما المواد المختلفة فخفضت للفكرة المادية للحياة وتضمنت العلوم الحديثة في المنهج التعليمي.

محاوير المنهاج التعليمي

ينقسم المنهاج التعليمي الحديث إلى ثلاثة محاور رئيسية:

- ١ - الأدب واللغة.
- ٢ - العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- ٣ - العلوم الطبيعية التجريبية.

أما الأدب واللغة فلا تجد اختلافاً بين منهاجيه القديم والحديث من ناحية الذوق والأسلوب.

وأما العلوم الطبيعية الحديثة فإنها تعتمد على البحث والتجربة، وهي لا تحمل في طيها أي ضرر، وإنما تهتم دراستها للمعنيين بتنظيم شؤون الحياة المادية والعلمية للمجتمع.

إقصاء الدين عن الأخلاق

أما العلوم الإنسانية والاجتماعية فهي التي شهدت الصراع بين القديم والجديد، وهي المحور الثالث من المحاور الثلاثة، فقد كان إقصاء الدين عن الأخلاق والقيم عملاً خطيراً أثر في نتائج النظام التعليمي، وذلك لأن الأخلاق هي وسيلة لإصلاح الحياة البشرية وتهذيبها، وهي تقوم على أساس الدين والعقيدة، فإن فصلها عن الدين يؤدي إلى نتيجة خطيرة ينهار فيها أساس الأخلاق والمكارم الإنسانية، ويتتهي دورها الحقيقي في الحياة البشرية، لأن الدين هو الوازع الخلقى العظيم والدافع الحقيقي وراء الاستقامة على الصدق والعدل والانتهاز عن التصرفات الشائنة والظلم والاستغلال والاحتكار واتباع الأهواء والشهوات، فبحث المتحررون عن وازع آخر فاختراروا الدافع المادي وهو دافع لا يتلاءم مع الأخلاق والدين، بل إن صلته هي بالمصالح المادية، وكان دافعاً لا يؤتي أكلاً، ولا يغني من شيء، فالأخلاق والقيم في المدنية الغربية فقدت أساسها الذاتي، فهي لا تؤدي دورها إلا تحت الضغط المادي القانوني، فلقد دعا الفكر الغربي إلى رفض الأساس الديني للأخلاق، وزعم أن الدين مجرد افتراضات وظنون غير قائمة على أسس ثابتة، وأن الأخلاق لا تخضع إلا للمصالح والمنافع، وازدهرت هذه النظرية المادية في النظام التعليمي والتربوي الشيوعي ازدهاراً كبيراً، ووجدت فيه أيضاً أرضاً خصبة للنمو والتقدم، ولكن أتباع الدين والأوفياء له لا يرون أي مبرر عقلي أو منطقي للخضوع لهذه النظريات الملحدة في ضوء خبراتهم وتجاربهم.

ف قضية الأخلاق هي موضع الاختلاف بين المنهجين القديم والجديد والاختلاف فيها هو في الغرض والطبيعة والأسلوب.

العلوم الإنسانية والاجتماعية

ودخول المعارف الاجتماعية في المواد التعليمية لا يخلو من تأثير حسن في تثقيف الناشئة تثقيفاً مفيداً، ولا يتعارض ذلك مع الطبيعة الإسلامية، بل إنما يبيحه الإسلام ويقرره، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وتتغير حاجات الإنسان الاجتماعية مع تغير الزمان وتتطور تطوراً نتيجة تأثير الظروف والأحوال، ولقد أكدت حاجات الاتصال العالمي وتقارب المسافة بين أجزاء العالم على تبادل الخبرات والأحوال بين المجتمعات وأفراد النوع البشري، وعلى ضرورة الاطلاع على المعارف والعلوم الاجتماعية لهذه المجتمعات، بل إن الجهل بها أصبح سبب ضرراً فادحاً للإنسان في حياته العلمية، فدراسة الجغرافيا والتاريخ والسياسة والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع ومبادئ الصحة أصبحت من الضرورات الأكيدة في مجتمع اليوم، وأصبح إدخالها في المناهج والمقررات الدراسية من الضرورات الأساسية الاجتماعية.

منهج المدارس العربية الإسلامية

أما مدارسنا الإسلامية فإنما يجب أن تشمل مناهجها على ثلاثة أو أربعة

أقسام:

- ١ - اللغة والأدب.
- ٢ - العلوم الدينية والخلقية.
- ٣ - العلوم الاجتماعية والإسلامية.

أما العلوم الطبيعية فيجوز لها أن تجد مكاناً في المناهج الدراسية للمدارس الإسلامية أيضاً، ولكن حجمها يكون صغيراً جداً بل تكون بصورة بسيطة محدودة بحيث لا تغطي على مواد الأقسام الثلاثة الأولى، بل يناسب أن يتخلل في مناهج هذه المدارس كمعارف عامة، فهذا المنهج الدراسي المتكون من هذه العناصر الرئيسية لا بد أن يُسفر عن الأهداف والنتائج التي تحقق مطالبنا الاجتماعية والفردية في عصر متطور شامل، وإن إهمال بعض هذه الجوانب والتغاضي عنه يسبب ضرراً بالغاً وخسارة فادحة.

صلة التّعليم بالحيوان البشريّة المختلفة

آثار التعليم في الصغر

هذه النظريات التعليمية التي سبق أن تحدثنا عنها تتصل في الغالب بمرحلة النشأة والعمر الابتدائي للإنسان حينما يكون الإنسان بمقتضى طبيعته واستعداده مستعداً ومتهيئاً للدراسة والتعليم، فإن ذهنه وذاكرته وقوته الفكرية والعقلية إنما تساعده مساعدة طبيعية في تلقي العلوم وحفظها، ومن هنا فإن النظم التعليمية المرسومة توضع أصلاً بالرعاية للأحداث والصغار، وتوضع لهم المناهج والمقررات الدراسية وبه يسير النظام التعليمي مساره الطبيعي، ولكن الإنسان حينما يقطع هذه المرحلة فإن استعداده لاكتساب المعرفة والعلم يضعف نوعاً ما ويضمحل اضمحلالاً إلى حد ما.

تعليم الكبار

وهذا الضعف في كبار السن يحمل على وضع نظم خاصة ومناهج وأساليب مختلفة تتلاءم مع حاجة تعليم الكبار وتربيتهم وتتفق مع استعداداتهم وقدراتهم، كما نجد أن مجالات التربية الاجتماعية تتصل أساساً بهؤلاء الكبار وتستخدم العملية التعليمية لهم بطرق مختلفة وتختار لهم الأساليب والنظم على أساسها، وأن وسائلها تكون متنوعة وكثيرة، وهي تتسم بالاتساع والشمول، وستناول ذكرها بشيء من التفصيل في الصفحات التالية إن شاء الله تعالى.

مجال الثقافة

تهدف التربية والتعليم أيضاً إلى تثقيف الإنسان وتهذيبه، والثقافة ثروة لمعارف البشر تتصل بمناحي حياته المختلفة التي تنقسم إلى ثلاثة أجزاء رئيسية:

١ - القلب والروح وهما مركز محبة الخالق والرب والاتصال به .
٢ - العقل الذي يمتاز به الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، وهو الذي يمنح الإنسان قوة الإدراك الظواهر والحقائق في حياته ويهيئ للوسائل المساعدة لتنظيم الحياة وتثقيفها .

٣ - الجسم المادي وما يتصل به من راحة أو تعب وما يرتبط به من الحاجات .

القلب والروح

أما القلب والروح فإنما يوجد فيهما سر امتياز الإنسان عن غيره من الخلق، وتدل التعاليم الإسلامية على أن هذه الناحية هي أصل الوجود البشري، استخلف الله الإنسان في هذه الأرض وأنشأ فيه استعداداً للقيام بالخلافة في الأرض خالصة له، ولا يخفى على ذي بصيرة وعقل أن هذه الخلافة لا تقوم على أساس الجسد وحده ولا على أساس العقل وحده، بل إنها تقوم على أساس القلب والروح كذلك، بل وتعتمد عليه اعتماداً أولياً، ولا يستطيع الإنسان أن يؤدي فريضة الخلافة في الأرض إلا إذا توثقت صلته بربه وأعد نفسه لإدراك أحكامه وتطبيقها، ويشير إلى ذلك الحوار الذي جرى بين الله وملائكته قبل أن يخلق آدم، وهو قوله تعالى: ﴿وإذ قال...﴾ إلى ﴿جاعل في الأرض خليفة﴾ وتؤكد آية عرض الأمانة في سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة...﴾ وإن التفاضل عن جانب القلب والروح وصرف النظر عنه يسبب حدوث مفسدات ومشاكل في المجتمع، ولا يمكن حلها إلا بالرعاية لما يقتضيه القلب ويتطلبه، أما الإنسان الغربي اليوم فيحاول معالجتها بواسطة العقل وحده وحينئذ يتفقم الأمر ويشتد الخطب.

العقل

أما العقل فقد نال أهمية كبيرة ومجالاً فسيحاً في المجتمع البشري بصورة عامة، ولا شك في أن له دوراً بارزاً في تنظيم الحياة البشرية وتهذيبها وتحليلتها واكتشاف الثروات المادية وتسخيرها ولذلك أعاره الإنسان اهتماماً كبيراً وربط بين العقل وبين الغرائز البشرية الطبيعية كذلك .

ويدين الإنسان للعقل في جميع أعماله التي أحرز فيها تقدمات وانتصارات في مجال العلم والصناعة، وأثار ذلك ملموسة واضحة في تاريخه الطويل الممتد للمدنية والثقافة.

الجسد

وهو الجزء الثالث والأخير من الأجزاء الثلاثة المذكورة، وهو يكون مجالاً للعمل الروحي أيضاً وللعمل العقلي أيضاً، فإن العقل والروح كليهما يعتمدان عليه في أعمالهما ونشاطاتهما، وهذا الجزء من الإنسان مشترك بينه وبين الحيوانات فإنه يوجد لدى الإنسان ولدى الحيوانات على حد سواء، ولكن الإنسان إذا ركز اهتمامه على هذا الجانب وحده بحيث لا يتجاوزه ولا يخرج اهتمامه من نطاقه لا يبقى إذن فرق بين الإنسان والحيوان، لأنهما يصبحان بذلك في اشتغالهما على الجسم واهتمامهما بحفظه وراحته سواء، فإنه يوجد لدى الحيوانات أيضاً إدراك وفهم غريزي لكل ما يهمها في شأن جسمها من حفظ وطلب راحة بأساليب إشباع رغبات نفسه وإروائها، فيه تدرك بدافع طبيعتها ما تحتاج إليه وطرق قضاء طلباتها الجسدية، فالطيور تبحث عن أغذيتها في ثمار الأشجار وحبوب المزارع وتلتقطها بقدر حاجاتها إليها، والحيوانات تجد رزقها في العشب والكلأ ولحوم الدواب الضعيفة وتروي غلتها بماء الترع والأنهار، وتهتدي إلى ما يلزمها في سبيل تحقيق مطالب الجسم ومآربه في النطاق الطبيعي المقرر، أما الإنسان فيستخدم عقله ويستعين به في مساعيه لمتطلباته في الحياة وتحسن أعماله وتنظيم أموره بمقتضى ذلك.

تركيز الديانات على إصلاح القلب

وأديان العالم كلها، سواء كانت مستقيمة وصالحة أم كانت منحرفة وباطلة، فقد ركزت في تعاليمها على أن الواجب على الإنسان أن يعتني قبل كل شيء بتربية روحه وإصلاح قلبه، أما مصالح الجسم فهي حاصلة له تلقائياً لأن الإنسان والحيوان كليهما يهتمان به بمقتضى غرائزهما، فلا يتطلب أمره إلى حصر الجهود فيه، ولكن الذي يؤسف له - وقد وقع كثيراً وجر فساداً كبيراً وانحرافاً شديداً - هو

أن رجال الدين في أوروبا قد بالغوا في إهمال جانب الجسم إهمالاً تاماً، وقصروا في شأنه تقصيراً شديداً حتى تسبب ذلك بأضرار بالغة حملت إنسان أوروبا الحديثة على التمرد على آراء رجال الدين كرد فعل لهذا الاتجاه والثورة ضد أهمية القلب والروح وإنكار أهميتهما وقيمتيهما، وعلى هذه الفكرة قامت المدينة الإلحادية الحديثة واستمرت الثورة ضد الدين حتى طغى جانب الجسم على جانب القلب والروح في حياة المدينة الغربية.

وجهة نظر الإسلام

ولكن الدين الإسلامي اعتنى بالجوانب الثلاثة من حياة الإنسان وجعل الأهمية الكبرى متعلقة بالقلب والروح، لأن الجانب المتصل بهما هو في المحل الرئيسي من بين الجوانب الثلاثة، ولقد أكد على ذلك الدين الإسلامي فقال رسول الله ﷺ: «إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، وقد جعل الله تعالى وهو خالق الإنسان وربّه هذا الجانب الرئيسي من جوانب التكوين الإنساني موضعاً رئيسياً لاهتمام الإنسان وعنايته، فلو أنكر الإنسان وصرف عنايته عن قبول أهمية هذا الجانب وعن قبول مسؤولياته نحوه فقد أقام دليلاً على انحرافه عن جادة الحق وعلى عدم إدراكه لغاية خلقه، مع أن رسول الله ﷺ يقول: «إن الدنيا خلقت لكم وإنكم خلقتُمْ للأخرة».

والإسلام مع تأكيده على أهمية القلب لا يتغافل ولا ينكر أهمية العقل والجسم ومتطلباتهما في الحياة بل يأمر بأداء حقوقهما أيضاً، يقول النبي ﷺ: «إن لنفسك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً»، بل أوجب الإسلام تحقيق مطالب العقل والجسم، ولكنه أمر بأن يكون ذلك وفق شريعة الله تعالى لطلب مرضاته فيهما مع أداء حقوق القلب، ولقد أخبر الصادق المصدوق رسول الله ﷺ بحصول الأجر في الآخرة، حتى إذا وضع المسلم اللقمة في فم امرأته بنية أداء حقوقها عليه.

الحضارة الحديثة الملحدة

لكن الحضارة الحديثة الملحدة أنكرت أهمية القلب والروح بتاتاً وثارت عليهما، وذلك لجهلها بالرؤية الإسلامية الصحيحة في ذلك، وكرد فعل منها لوطأة الرهبانية المسيحية الشديدة التي كانت تكتسح أوروبا في القرون المظلمة ولعدم انسجامها مع الطبيعة الإنسانية المستقيمة، فثارت الجماهير الأوربية ضدها وجعلت الدين محصوراً في الكنيسة وأطلقت زمام حياتها لغذاء الهوى والنفس ولحب اللذة والمتعة وربطت الأهمية في حياة الإنسان بالعقل والجسم وحدهما، وسائر نشاطاته وتحركاته دائرة حولهما.

ضعف جانب العقل وعلاجه

يحاول إنسان المدنية الحاضر معالجة النقص الناتج من إهمال القلب والروح في صورة من الاضطراب السلوكي والخلفي والفرغ الناشئ في القلب الإنساني عن طريق الاعتماد على العقل وحده، ويصبح ذلك محاولة فاشلة منه وهي لا تزيد الأمر أحياناً إلا فساداً أكثر ولا تزيد الشر إلا تفاقمًا، ولكن عقلاء المدنية المعاصرة وزعمائها لا يفتنون لخطئهم في ذلك، ويجهلون أو يتجاهلون الدواء الناجع أو العلاج النافع، بل يتمادون في غيهم وضلالهم فيزيد ذلك مشاكلهم تعقداً وحلولها صعبة.

موقف النظم التعليمية المعاصرة

وتولى الزعماء الملحدون في الغرب وضع نظم شعوبهم التعليمية والتربوية فصاغوها في قوالبهم الفكرية المنحرفة عن التصورات الدينية وأسوها على فكرة الاكتفاء بجانب الجسم والعقل، وأغفلوا في إعدادها مطالب القلب والروح ومقتضياتهما من طاعة الله عز وجل وتهذيب الأخلاق والعواطف البشرية النبيلة والصلاح والبر والأخوة والمودة، وما إلى ذلك من محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق، وحاولوا علاج المشاكل الناتجة من هذا الإهمال بمجرد العقل أو القوة المادية.

أما التنظيم الخلفي وسلامة المصالح الإنسانية التي نشاهد آثارها في المدنية المعاصرة فليست إلا وليدة الشعور بالمصالح المادية البحتة أو الخوف من المضار الملموسة الظاهرة أو بتأثير العقوبات والحدود المفروضة من قبل الحكومة والنظام، وهي في هذه الحالة تقوم على أساس ضعيف جداً لا تدعمها قوة داخلية صادرة من قلب الإنسان وإيمانه. فيقع من ذلك فساد في الأخلاق وضلال في السلوك ثم بخس في الحقوق وعبث بمكارم السيرة وصفات النبيل ما نرى صورته المتضحة في حياة المدنية الحديثة.

المساجد والمعابد

دور المسجد

يشبه دور المسجد في تربية عامة المسلمين الدور الذي تؤديه البيوت والمدارس نحو تربية الأحداث والناشئين، وقد يفوق دور المسجد دور البيوت في قوة التأثير والنفوذ، ولكن ذلك يتوقف على إدراك مكانة المسجد ورسالته والقيام بأعماله ونشاطاته على الوجه الصحيح وإلا فإن تأثيره يكون ضعيفاً ولا يعمل عمله إلا في نطاق ضيق محدود.

نظام المسجد ومعابد الديانات الأخرى

المسجد مركز ديني ومعبد للمسلمين، وما من ديانة من الديانات إلا وأتباعها يتخذون مراكز لعبادتهم وخدمة دينهم ودعوته، سواء كانت هذه الديانات سماوية كالإهدوية والمسيحية والإسلام أو تقليدية كالدانات الوثنية، أما المسجد فإنه أكمل مركز من بين مراكز العبادة وأشمله، وذلك لأن معابد الديانات الأخرى لا تقيم اتصالات متواترة دائمة بأفرادها، فإن الكنائس المسيحية لا تفتح أبوابها ولا تمارس نشاطاتها إلا يوم الأحد، وحسب المسيحي أن يحضر في الكنيسة يوم الأحد ويعترف بذنوبه ويتوب، كذلك اليهود فإنهم أفردوا يوم السبت لممارسة طقوس العبادة، وأما الأيام الأخرى فلا يقع عليهم فيها مسؤولية كبيرة نحو مراكز عبادتهم، أما الديانات الوثنية فإنما يكفي فيها أن يشتغل المرء بالعبادة في أي ساعة من الليل والنهار، في حين أن الحضور إلى المساجد واجب خمس مرات كل يوم، وذلك لأداء الصلوات فيها مع الجماعة، وهي ميزة تفرد بها الإسلام من بين الأديان الأخرى، ثم إن الإسلام يفرض على أتباعه أن يحضروا

في المسجد في حشد كبير مرة واحدة كل أسبوع، ويستمعوا إلى الخطاب الديني الذي يكون له دور فعال وأثر كبير في التربية والثقيف.

فكرة المسيحية

ترتبط قوة المعبد وتأثيره بفكرة دينه الأساسية وطبيعته الخاصة ارتباطاً تلقائياً، ولقد تبنت المسيحية عقيدة التفكير والتصور الذهني وحده، فكان ذلك عائقاً كبيراً في سبيل تطبيق أحكامها وشرائعها بصورة مضبوطة واضحة، فإن أتباعها يعتقدون أنهم مهما اقترفوا من ذنوب وآثام لا يضرهم شيئاً، وذلك لأن المسيح عليه السلام قد قدّم نفسه كفارة عن ذنوب أتباعه، وهو فداء لهم ونجاة، فإنهم يحضرون لدى الأسقف مستغفرين لذنوبهم وهو يعطيهم صكوك الغفران.

فكرة اليهودية

واعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنهم أبناءه وأحباؤه يشكل عقبة كبيرة في سبيل اجتناب السيئات والمنكرات، إنهم يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه، والابن يعصي أبويه ولكنه يتدلل ويرى أنهما سيصفحان عنه، كذلك اليهود يتدللون في جناب الله تعالى ولا يخافون من المعاصي والآثام خوفاً كبيراً.

أفكار الديانات الأخرى

أما الديانات الأخرى فإنها لا تتصل بالحياة اتصالاً شاملاً وليست لديها شرائع دينية متكاملة، وإنما يكفي باتباعها أن يقوموا بأداء بعض الطقوس والشعائر الدينية من دون أن يكون لها اتصال وثيق بالجوانب المختلفة من الحياة.

فكرة الإسلام

أما الإسلام فإنه يشمل الحياة كلها وليست فيه عقيدة كعقيدة التكفير لدى المسيحيين ولا كعقيدة البتة لله لدى اليهود، فليس للإنسان في نظر الإسلام إلا ما كسب واكتسب بعمله، فلا يمكن أن يجترىء على الذنوب والآثام وهو مستحضر للسؤال والجواب في الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى﴾ ويقول: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أخرى ﴿ و﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾، وقال النبي ﷺ في رسالته الأخيرة في حجة الوداع: «كلكم من آدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى»، وقال وهو يخاطب قبيلته وأهل بيته: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدمناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً».

مكانة المسجد ووظيفته

بعد هذه التصريحات الدينية الفاصلة لا ينبغي للمسلم أن يسلم في الآخرة من العقاب إلا برحمة ربه وعلى أساس عمله في الدنيا، والمسجد مكان مناجاة الله ودعاؤه وأداء العبادة له وحده فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وبذلك تصبح مكانة المسجد لدى المسلم عظيمة ومهمة ولا يبقى مكاناً للصلاة والعبادة وحدها، بل ويكون مكاناً للتعليم والتربية كذلك.

ونظام المسجد شامل ومتكامل مثل الدين الإسلامي الذي هو شامل ومتكامل يحتوي النواحي المختلفة من الحياة ويؤثر فيها، فاجتماع المسلمين كل يوم خمس مرات في المسجد واصطفافهم، اتفاقهم على أداء الكلمات والمعاني ينشئ فيهم روح الوحدة والتضامن ويدربهم عليها، وإن الخضوع للرب والخشوع له مع استحضار ما يقوله من كلمات الدعاء والعبادة والتوبة من المعاصي والخطايا، والرجوع إلى حياة طاهرة نزيهة في جو ديني يغشاه على فكره وعقله يترك آثاراً وملامح باقية خالدة في حياته العملية السلوكية.

وهذه العملية تتكرر في اليوم خمس مرات وتمارس مرة في الأسبوع على مستوى واسع كبير، إذ يجتمع الناس من كل صوب ومن كل طبقة في مكان واحد يؤدون هذه الفريضة الجماعية ويستمعون إلى خطبة فيها دعوة وتربية وتذكير.

المسجد نظام شامل

وقد توفرت لدى المسلمين أساليب بديعة نافعة للدعوة والتعليم والتربية في

نظام المسجد وهذا النظام شامل لأنواع الخيرات والبركات وصنوف المصالح والمنافع الدينية والاجتماعية إذا استغل استغلالاً مناسباً ومنظماً، وبكامل الدقة والإتقان.

أهمية المعابد وفكرة الإله

يرجع مدى تفوق نظام المساجد والمعابد في سائر الديانات إلى أنه يتصل بتلك الناحية البشرية التي أصولها ثابتة وجذورها ضاربة في أعماق النفس، والتي تثير العواطف والمشاعر الداخلية، كالحضوع لقوة عليا والاستعانة بها، وكلما كانت فكرة هذه القوة وأوصافها رقيقة وجميلة واضحة كان تأثيرها في القلوب أشد وأنقى، ومن ثم فإن فكرة الإله في الإسلام تمتاز عن غيره من الديانات، وذلك لأن الإله في الإسلام واحد وهو الله لا إله غيره، إنه رب العالمين وأرحم الراحمين وهو أحد صمد مهيمن. وفكرة الإله تحمل تأثيراً قوياً ونفوسياً بالغاً في سائر الديانات أيضاً، لأن أتباعها يعتقدون أن الإله خلقهم والإله يرزقهم والإله يدبر لهم الأمر ويرعى شؤونهم ويراقب أحوالهم، ومن أجل ذلك فإنهم يبنون لأداء طقوسهم وشعائرتهم الدينية مراكز ومعابد لائقة مناسبة لحاجاتهم الدينية.

الهَيئاتُ وَالجَماعاتُ

النظام الاجتماعي والوحدات الاجتماعية

تناولنا فيما مضى الوحدات الاجتماعية التي تتصل بالبيت والمدرسة ومركز العبادة، وذلك باستعراض قيمتها ومهمتها في التربية، والآن نلقي نظرة على الوحدات الاجتماعية العامة التي تتصل بأعمال الفكر والثقافة، والتي تؤدي فيها اللغة والأساليب الأدبية والمنطقية عملها في التأثير على النفوس والعواطف البشرية، ومجالات عملها هي الصحافة والإذاعة المرئية وغير المرئية والوسائل السينمائية في ناحية، والهيئات والجماعات والنوادي والمجالس العلمية والأدبية في ناحية أخرى.

هذه وحدات اجتماعية يتأثر فيها الإنسان بصورة تلقائية بالأفكار والاتجاهات الاجتماعية والمشاهد والتجارب والأحداث والدلائل والبراهين وقوة الكلام والصور البيانية المختلفة، يتفاعل معها الإنسان ويستفيد منها ويجتاز بذلك مرحلة تربية عملية.

صلاحية التلقي لدى الإنسان

نتحدث أولاً عن الهيئات والمجالس العلمية والأدبية ثم نتناول الوسائل والأساليب الأخرى.

لقد أودع الله في كل إنسان طبيعة استحسان الشيء الحسن والرغبة إلى كل ما هو جميل أو فاضل محمود، فكلما يطلع الإنسان على فكرة جميلة أو يشاهد خصلاً أو مظاهر حسنة يحاول تقليدها بصورة تلقائية أو غير تلقائية أو يستفيد منها

ويحاكيها ويصوغ نفسه بصفتها، فالطفل يسير على هذا المنهج في بيته ثم في مدرسته وفي أماكن العبادة ثم في المجتمع العام وتنطبع على نفسه ومخيلته الصور المختلفة التي يشاهدها ويستحسنها.

الحياة الاجتماعية ضرورة لا غنى عنها

ولما كانت الحياة الاجتماعية ضرورة من الضرورات البشرية كان لا بد لها أن تؤدي دورها في الحياة في صور ومظاهر مختلفة وأن لا تخلو الحياة منها ولا مجتمع من المجتمعات، سواء كانت مجتمعات للمثقفين من الناس أو مجتمعات غير المثقفين منهم، فالفلاحون في مرابدهم والمتحضرين في محافلهم يقضون هذه الضرورة، وكانت العرب في زمن أميتهم وبُعدهم من الثقافة والعلم يعتقدون الأسواق والندوات بطريقة منظمة، وكانوا يرون حضورها والمشاركة فيها من علائم عزتهم وكرامتهم، ولقد افتخر شعراؤهم بذلك واعتزوا بها في أشعارهم.

عادة العرب

كانت هذه العادة قد استحكمت في العرب حتى أصبحت عادة مطّردة فيهم وقد حافظوا عليها حتى بعد أن عمت الثقافة فيهم، وهم يتبعون هذه العادة الآن بسهراتهم في الليالي وقضاء الساعات في المحافل والمآدب وبالاشتغال بالمسامرات.

الارتباط الاجتماعي في غير العرب

وتوجد هذه الظاهرة في عامة المجتمعات الإنسانية الأخرى أيضاً ولو بفروق يسيرة في الأسلوب والمنهاج.

ويتطور عقد هذه المحافل في المجتمعات المثقفة إلى تنظيم المجامع العلمية والأدبية وإلى الجماعات الدينية والأحزاب السياسية والنوادي الأدبية والثقافية وهي تقوم بتحقيق رغبات الإنسان الاجتماعية.

منهج الشيوعية

استغل الاشتراكيون هذه النزعة الطبيعية البشرية الاجتماعية وأسسوا لها

نقابات العمال والكادحين، ثم تطرقوا بها إلى إحداث الثورات والانقلابات السياسية والاقتصادية، وليس نظام الاتحادات التجارية والمؤتمرات الشعبية إلا شكلاً من هذه السلسلة، ولا يخضع الاشتراكيون إلا للدوافع المادية ولا يلتزمون إلا بها، فإنهم يعدون الدين والأخلاق المأمور بها في الدين عن مجتمعاتهم أو يقومون بتفسير القيم الدينية والخلقية تفسيراً مادياً يسلبها روحها وطبيعتها.

منهج الوحدات الحزبية

أما الجماعات الدينية والسياسية فهي تنشأ كنتيجة للمتطلبات البشرية المذكورة سابقاً، ولكن يستغلها أصحاب العقول الكبيرة والأفكار القوية لأهداف معينة خطيرة، منها أداء دور سياسي أو تحقيق خطة دينية أو إنجاز مطالب اجتماعية خاصة، وقد تصطمم الآراء والأهواء فيها فيتطور الأمر إلى خصومات حزبية ومجابهة وصراع.

وقد ينصرف اهتمام الجماعات الدينية إلى شؤون خارجة عن أهدافها فتلحق بذلك ضرراً يهدفها الأساسي من التربية والتهديب.

العصية الحزبية

وتصاب هذه الأحزاب أحياناً بالعصية الحزبية الرعناء فيخلو عملها من عمليات البناء ويتحول إلى عمليات التفكيك والهدم.

إن القيام بالعملية التربوية الإيجابية الشاملة على أسس سليمة ثابتة يتطلب من العاملين في مجالها أن يكونوا حذرين من العصبية والخصومات التي لا طائل وراءها لأنه لا يحصل بها نظام تربوي مفيد.

آثار الثورة الصناعية الغربية

منذ أن حدثت في أوروبا الثورة الصناعية سادها نظام نقابات العمال المفضي إلى الصراع والمطالبة بالحقوق، واستلهمت منه الجماعات والأحزاب الأخرى كذلك فكرة الاحتجاج والصراع، وقد تصطبغ الأحزاب الدينية والاجتماعية أيضاً بهذا اللون الجديد، فبسبب ذلك أضرراً بالغة وخسائر فادحة في طريق أهداف الأحزاب التربوية الراشدة.

طبيعة الهيئات العلمية والأدبية والدينية

ولا تتفاعل الهيئات العلمية والأدبية والثقافية مع هذه الاتجاهات الهدامة إلا قليلاً، فإنها طلباً لأهدافها العلمية الرزينة تقوم بتربية هادفة، ويتم القائمون عليها والمنخرطون في سلكها بطابع التربية والبناء في الغالب.

تشبه هذه الهيئات العلمية والأدبية والثقافية في طبيعتها واتجاهها بوحدات المدرسة والمؤسسات التعليمية ويستغلها القائمون عليها والمسؤولون عن شؤونها لصالح الأهداف التربوية.

والأهداف التربوية إنما تستقي وتأخذ قوتها من الهيئات الدينية والمخلاقية وتعتمد عليها في معظم الأحيان، لأنها تؤسس لأجل التربية وتكوين السيرة والسلوك، وإن أمثال هذه الهيئات مهما كانت بسيطة المظهر وضيقة النطاق تحمل منافع تربوية أكثر بالنسبة إلى عامة الوحدات الاجتماعية.

النوادي الترويحية

أما النوادي الترويحية فإنها - وإن كانت تهدف إلى صحة الأبدان وترويح العقول والأذهان - فهي تحمل في طيها روحاً تربوية بتأثير البيئة الاجتماعية المتصلة بها، وتقوم بعملية التجارب والتفاعل بين أعضائها في مجال الاتجاهات، والسلوك والآراء، ويتلقى الإنسان التربية بصورة تلقائية، وهذا الذي نشاهده في نوادي الرياضة في صور برامج اللعب، فإنه يكون من النافع المثمر فيها أيضاً أن تدخل فيها البرامج العلمية والأدبية إلى جانب نشاطات هذه النوادي الرياضية وأعمالها.

طبيعة الارتباط الاجتماعي

يختار الناس بعد تخرجهم من الحياة المدرسية بعض هذه الوحدات الاجتماعية وفق ذوقهم وطبيعتهم، ويربطون نفوسهم بها ويخترعون أساليب ووسائل مستوحاة من نظامها لتكوين سيرتهم وسلوكهم وتطويرهم العلمي والفكري.

التعبير وآثاره

الارتباط الاجتماعي باللسان والقلم

تستخدم لتعليم المجتمع وتربيته وسيلتان: القلم واللسان، وبهما يعبر الإنسان لغيره عما في ضميره من مشاعر وأحاسيس وأفكار وآراء، ولا شك أن عملية النقل والتعبير هذه منتشرة عامة على المستوى الفردي، ويقوم عليها نظام الحياة بأسره، ولكنها إذا تطورت إلى المستوى الجماعي تمخضت عن ثمار ومنافع جماعية.

العلم واللسان

إن قوة العقل التي أكرم الله بها الإنسان والتي يمتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى قوة إنما يزيدها ويهذبها ويجعل فيها العلم جمالاً وبهاءً ونفعاً وتأثيراً، ولقد استطاع الإنسان بذلك أن يصلح حياته ويزينها فردياً وجماعياً، واللسان يلعب دور الوسيط للإفادة بالعقل والفهم ونشر العلوم والتجارب والخبرات بين أفراد البشر.

التكافل الاجتماعي

ولما كان الإنسان بمقتضى غريزته مطبوعاً على التكافل والتضامن والترابط الجماعي فقد ساعده العلم والمدنية في تحقيق المطالب الاجتماعية بصورة منظمة ومتطورة، وأدت عملية التعبير والنقل دوراً كبيراً في هذه المرحلة الحضارية التطورية.

التعبير باللسان

كان الخطاب أو التعبير باللسان في مجتمعات البداوة والامية قبل انتشار

العلم والمدنية أكبر وسيلة وأهم أداة لتهديب الحياة وثقيفها، وأما التعبير الكتابي فإنه يعتمد على الثقافة والفكر والتعليم، وأما العرب فقد كانوا قبل الإسلام يجتازون مرحلة الأمية والجهل، ولكن لغتهم نالت ازدهاراً واسعاً وانتشاراً كبيراً، فأثر ذلك على التعبير والخطاب الشفهي وكان زينة لهم، وكانت الخطابة تساعدهم بعد شعرهم الذي كانوا يظهرون فيه براعتهم اللغوية والأدبية ويتخذونه أكبر وسيلة لنقل المشاعر والأحاسيس، وكانوا يحرصون على أن ينشأ فيهم رجال يجيدون الخطابة ويمتلكون ناصية البيان والفصاحة، وكانوا يعتمدون في البعثات الخارجية والسفارات لإيقاظ مجتمعهم وإصلاحه واستجلاب نظره إلى ما يهمه على أمثال هؤلاء الأفراد المبرزين في مجال الفصاحة والبيان، وكانوا يقومون بمهمتهم وبما يُنَاط بهم من الآمال خير قيام.

ولم يكن هذا الوضع يخص العرب وحدهم بل إنما تفيد دراسة المجتمعات البشرية أن جميع الأمم والقبايل والشعوب كانت متماثلة متقاربة في هذا الشأن لأنها من الضرورات التي تفرضها عليها الحياة الاجتماعية.

الخطابة والكتابة

لا ينتهي دور الخطابة عندما يسود عهد العلم والمدنية وإنما تقوم الكتابة بأداء دورها من النقل والتعبير، ولكن عمل الخطابة يقتصر في حدود أقصر من حدود الكتابة لأنها تقتيد بأفهام المخاطبين، وبزمن محدد بالنسبة إلى زمنها، ولكن مفعولها يكون رغم اختصارها الزمني قوياً أكثر، وأنها تشمل المثقفين وغير المثقفين جميعاً، ولذلك تسير الخطابة في الطبقات الأمية والمتعلمة على السواء.

عناصر الخطابة

ترتبط قوة الخطابة ونفوذها بثلاثة عناصر وهي المعاني والكلمات والأسلوب.

المعاني

أما المعاني والمفاهيم فإنما تراعى فيها نفسية المخاطبين وطبيعتهم ومعارفهم وأحاسيسهم وانطباعاتهم.

وقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن الطبيعة البشرية الاجتماعية وذكرنا أنها تختلف عن الطبيعة الفردية، أنه تسيطر عليها الناحية العاطفية المجردة عن الروية والتفكير والإيمان، فهي تستحسن ما تستحسن وتستقبح ما تستقبح بدافع من العاطفة والانفعال، ولا تخضع لحكم المنطق والعقل إلا قليلاً وبصورة بسيطة، فيجب على الخطيب أن لا يفوته شيء من هذه الجوانب، وأن يتعرف العواطف والمشاعر القوية في الجماعة والأفكار والآراء الراسخة فيها مهما كانت وطنية أو دينية، فالجماعة عاطفية في كل شيء، تستثيرها وتهيجها محاولة يسيرة وتبعثها على الفورة الاجتماعية والهيّاج الاجتماعي، وهناك جانب من التصورات والآراء تعبر عنها وتشرها كلمات خاصة فيكفي استخدام هذه الكلمات لإثارتها.

مراعاة عقول المخاطبين

يجب مراعاة المستوى العقلي لدى المخاطبين، فإنه لا ينفعهم فيه إلا المواد التي تستسيغها عقولهم وأفكارهم، ومن واجب الخطيب أن يراعي فهم المستمعين حتى يثقفوا المعاني المقدمة ويستسيغوها، وإذا لم يراع الخطيب مستوى مخاطبه العقلي لذهب كلامه أدراج الرياح ولم يؤت ثماره المرجوة، ولن ينجح الخطيب في أداء مهمته إذا كان غافلاً عن معرفة المستوى العقلي للمستمعين والمخاطبين ونفسياتهم وطبيعتهم.

الكلمات بين إيقاعها الصوتي وتأثيرها المعنوي

وللكلمات ناحيتان: ناحية لغوية، وناحية صوتية، وتوجد جماعات من الناس تكون متذوقة للكلمات الأدبية بوجه خاص فتصني آذانها إلى هذه الكلمات وتألّفها وتستلذّ بها عقولها وأفكارها فتعير لها اهتمامها وعنايتها. ويمثل هذا الاتجاه أبناء الأمة العربية بصورة خاصة، فقد عُرف العرب بالذوق الأدبي قديماً وحديثاً،

وهناك نماذج عديدة من هذه الخطابة، وقد تكون الخطبة فارغة إلا عن الكلمات والجمل الأدبية وحدها، ولكنها مع ذلك تجد لها آذاناً صاغية وتنفذ إلى القلوب، وذلك بتأثير النبرات الصوتية التي تستلذ بها الأسماع وتتفاعل معها العقول والأفكار، وإنما ينشأ هذا الإيقاع الصوتي من استعمال الكلمات المرادفة والسجع والنبرات والنغمة الصوتية الخلافة التي تستهوي قلوب المستمعين، ولا سيما المتذوقين لها المستلذين بها، ولا بد من الاطلاع على ذوق المخاطبين، فإن كانوا من عامة الناس وجماهيرهم فقد تؤثر فيهم الكلمات الحاملة للإيقاع وذات المعاني المحبوبة لديهم والكلمات المرادفة والاستشهاد بالأبيات مع أدائها بصوت مؤثر جميل، ومن ثم يلزم الوعاظ والمذكرين أن يزينوا خطابهم بكل ذلك.

وإذا كان المستمعون من المثقفين ويتصفون برجاحة عقل ورزانة فلا يعمل فيهم السجع الكثير واستعمال الكلمات المرادفة، بل إنما توافقهم الكلمات المطابقة للمعاني المقصودة، والجمل البليغة السهلة، والمتسمة بطابع الرزانة، والبعيدة عن الابتدال، أما إذا كانوا من المفكرين العلماء فلا يليق بهم إلا الأسلوب العلمي الرزين بعيداً عن الكلمات والتعابير المبتذلة والعامية، وإلا فإن الخطيب يفقد تأثيره ويذهب كلامه سدى.

فلا بد للخطيب أن يراعي مستوى المستمعين العقلي والعلمي وطبائعهم ونفسياتهم وأذواقهم حتى ينجح في أداء مهمته وينفذ كلامه إلى قلوبهم فيتفاعلوا معه.

الأسلوب والمظهر

إن الأسلوب والمظهر كذلك يحملان أهمية كبيرة ويتوقف عليهما الإقبال على الخطيب أو الإنصراف عنه. وذلك لأن من طبيعة الناس أنهم يستعملون أسماعهم وأبصارهم في وقت واحد، فأذنانهم تستلذ بالكلمات والمعاني وعيونهم تتمتع بأسلوب الخطيب ومظهره وإشاراته وحركاته، فإن كان الموضوع علمياً ورتيناً فلا تستحسن فيه كثرة الإيماءات والتشثيل بحركات اليد والرأس، وإن كان

الموضوع عاطفياً فمن واجب الخطيب إذن أن يتحكم في عواطف الناس و يقيمهم ويقدمهم بأنواع من الإشارات والحركات المثيرة، ولكن الموضوع العلمي الرزين لا يقدم إلا في أسلوب رزين هادئ، تتم ملامح وجه الخطيب فيه عما يرمز إليه أو يخفى عنه أو يؤكد عليه.

متهج العرب

كان العرب يهتمون في مجال الخطابة اهتماماً كبيراً ابتدعوا مبادئ وأساليب نافعة مؤثرة فكان خطيبهم يختار من الملابس ما تتجلى فيه مهابته ووزانته، يقوم على منصة متكئاً على عصا يشير برأسه ويديه، وكان هذا المشهد يحمل تأثيراً كبيراً.

ورث المسلمون هذا المظهر والأسلوب في خطب الجمع والأعياد والمواسم.

الخطابة أداة للتأثير في الوحدة الاجتماعية

إن الخطابة أداة فعالة ناجحة لإثارة الجماهير وتغذيتها بالتصورات والأفكار وتحريك عواطفها ومشاعرها والتحكم فيها، وتستفيد بالخطابة مجتمعات المثقفين ومجتمعات غير المثقفين على السواء، ولا توجد وسيلة أشمل وأشد منها نفوذاً وتأثيراً لتحقيق الأغراض السياسية والدينية.

الخطابة صناعة

والخطابة صناعة كلامية لها أسسها ومبادئها، يدرسها الناس ويتدربون عليها، ومنهم من يتدرب على الخطابة في مكان منعزل ويخيل إلى نفسه أنه يخاطب حشداً كبيراً من الناس، حتى يدرب لسانه وأساليب كلامه ويحاكي الناس القدامى الذين عُرفوا ببراعتهم في هذه الصناعة وإحرازهم قصب السبق في هذا المضمار، ويحفظ القطع المختلفة من كلامهم ليستعين بها في خطابه.

الأسلوب

وقد يكثر استعمال الكلمات القوية الجزلة والأسلوب الفخم الخلاب في

خطب غير طويلة، وذلك يزيدنا نفعاً وتأثيراً، ويتعمد بعض الناس على ذلك ويُعرفون بهذا الأسلوب والمنهج القوي الجزل، ويُضرب بهم المثل، وهذا الأسلوب هو الذي تمتاز به الخطابة العربية، وتوجد نماذجها وأمثلة في خطب النبي ﷺ كذلك.

أما الخطب الطويلة المطبنة فلا يوافقها هذا الأسلوب الجزل الفخم بل إنما يليق بها الأسلوب الهادي السهل، وذلك يكون في خطب المواعظ فإنه يكون بها تذكير النفوس تذكيراً هادئاً، والخطبة حينئذ تكون مشتملة على آيات الكتاب المجيد وأحاديث النبي ﷺ وقصص الصالحين وأخبارهم، لا يتعب أصحابها ولا يمل المستمعون بها مهما أطنب الخطيب ولو طالت الخطب في هذا النوع ساعات عديدة، فإن الناس يستمعون إليها بجذ ونشاط ورغبة وشوق.

الخطابة وسيلة دعوية

إن الخطابة أداة فعالة ووسيلة مؤثرة لجهود الدعوة وأعمال القيادة، اعتمد عليها الدعاة والقادة الزعماء في كل زمان ومكان وفي كل عصر ومصر، إنها تؤثر في سائر الطبقات من الشعب من المثقفين وغير المثقفين من الخاصة والعامة والشبان والشيوخ والطلاب والعمال والكادحين، يتأثرون بها ويشورون ويتفاعلون معها وينجرفون بتيار تأثيرها انجرفاً.

نموذج من خطابة النبي ﷺ

إن خطبة رسول الله ﷺ في الأنصار وهي التي أزال بها شكواهم خير مثال على ذلك: فقد روي أن ناساً من الأنصار قالوا حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فأعطى رجالاً من قريش المائة من الإبل فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويدعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فلما سمع رسول الله ﷺ مقالتهم أرسل إلى الأنصار فاجتمعوا في قبة من آدم ولم يدع معهم أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ وخاطبهم بهذه الخطابة المعجزة: «يا معشر الأنصار ما قاله بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم؟

الم آتكم ضللاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: الله ورسوله آمن وأفضل، ثم قال: «ألا تجيئونني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله، لله ولرسوله المن والفضل، قال: «أما والله لو شتمت لقتلتم فصدقتهم، ولصدقتكم: أتيتنا مكذباً فصدقتناك ومخدولاً فنصرناك وطريداً فأوينناك وعائلاً فواسينناك، أوجدتكم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبيعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لما تقبلون به خير مما يتقبلون به، ولو لا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً ووادياً وسلكت الأنصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الأنصار وواديتها.

الأنصار شعار والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً.

كان رسول الله ﷺ إماماً في الخطابة والبيان، وكان يليه في ذلك عدد من أصحابه ﷺ، كانوا قد ملكوا أزمة البيان فكانوا خطباء مصاقيع، ولقد برع فيها طائفة من أتباعهم أيضاً ومن جاء بعدهم في القرون المختلفة من الإسلام، وإن البراعة في الخطابة وصف يوجد في كثير من القادة والزعماء الذين يقفون حياتهم على الدعوة والإصلاح والتذكير، ولم يخل منهم عهد من عهود التاريخ، وهي صناعة وجد حظاً منها كل من بذل في سبيلها الجهد والعناية مهما كان دينه وجنسيته وهويته.

الصور التعبيرية الأخرى وآثارها

والمخاطبة أقدم وسيلة وأشملها لنقل الأفكار والأحاسيس من شخص إلى غيره من بني جلدته، سار عليها الإنسان في القديم ويسير عليها اليوم وقد بلغ في الرقي الحضاري والازدهار المدني ذروتها.

إذا كان الخطاب موجهاً لجمع من الناس سمي خطابة، وهذه إحدى صور الخطاب العديدة، وقد نالت رواجاً كبيراً وانتشاراً واسعاً، ولكن الصور الأخرى كذلك لها مزاياها وخصائصها وتراعى فيها نفسية المخاطبين وطبيعتهم واتجاهاتهم وميولهم.

الخطاب التعليمي

يعدّ الخطاب التعليمي أيضاً من الصور التعبيرية المختلفة، وتراعى فيه مواهب الطلاب ومستواهم العقلي والفكري وأبعاد الموضوع ومزاياه، ويحمل هذا النوع من الخطاب أهمية كبيرة، ويتوقف نجاح المعلم في مهمته التعليمية على براعته فيه، فالمعلمون الذين لا يراعون متطلبات الموضوع وخصائصه ومواهب طلابهم ومقومات فهمهم يبوؤون بالفشل والإخفاق.

التذكير والوصية

ومن صور الخطاب والتعبير الخطاب شبه الاجتماعي أو التذكير الفردي، يخاطب فيه المرء عدة أشخاص أو شخصاً واحداً طبق المبادئ التعبيرية وينفذ إلى قلوبهم بحيث يقتنعون به ويطمثون إليه.

وفي هذا النوع كذلك لا بد من مراعاة نفسية المستمعين ومتطلبات الهدف والمرمى والاهتمام باختيار الكلمات والأساليب المؤثرة الأخاذة وأسلوب يداني أسلوب الخطابة.

إن مراعاة القوة والتأثير في تأليف الكلمات والمعاني وتنسيقها في مناسبات الخطاب المختلفة تحدد مكانته من قوة الخطابة ونجاحها، أما التذكير والوصية والتعليم والتفسير فتختلف هذه الأنواع كلها في مزاياها الجزئية والفرعية ولكنها تتفق فيما بينها في أساسها ومبادئها.

والخطابة أشمل هذه الأنواع وأبلغها في التأثير والنفوذ، وهي تستخدم في المناسبات الخطيرة فتأتي بنتائج كبيرة.

الأدب ونشره

إسهام القلم في تربية المجتمع

ظل القلم يتمتع بنفوذ غريب في تربية المجتمع، وقام بأداء خدمة كبيرة تجاه العقول والأفكار والقيم والأخلاق البشرية، وقد أشاد القرآن الكريم كذلك بقيمة القلم ونوّه بشأنه، يقول الله تعالى: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

القلم أداة لتقيد معارف السابقين وعلومهم وخبراتهم وتجاربهم وبذلك يستطيع الإنسان أن يضيف إلى علومه وتجاربه علوم الآخرين وتجاربهم في مدة قصيرة، فالقلم يلعب دوراً بارزاً وخطيراً في حياة البشر.

قبل اكتشاف القرطاس وبعده

يقيد القلم المعارف على الورق والقرطاس، وكان الناس قبل أن يكتشفوا القرطاس يكتبون على صفائح الحجر والخشب والعظام والرق، وكانت هذه الأشياء تكلف الإنسان صعوبات ومشاكل ونفقات باهظة، الأمر الذي حال دون انتشارها واتساع نطاقها، ولكنها بدون شك خلفت لنا آثاراً علمية قيّمة يدين لها رقي المدينة الحديثة وتطور العلوم والفنون، ثم تم اكتشاف القرطاس وتقدمت عملية التأليف بخطوات حثيثة واخترقت آفاقاً جديدة.

انتشار المطابع

اتسع نطاق انتشار الكتب والانتفاع بها منذ القرن الماضي، إذ ظهرت المطابع إلى حيز الوجود وأصبحت الكتب والمطبوعات رخيصة الأثمان سهلة المنال.

الكتب الخطية

تُحدّد قيمة الكتاب ومكانته بما يحتوي عليه من علم وأدب، ويتوقف عليه كذلك إقبال الناس عليه والاهتمام به، كان طلاب العلم في العهود الخطية يقيدون الكتب بأيديهم ويدخرونها لأنفسهم، أو كانوا يستكتبونها بالأجرة، وكانت تقام لذلك دكاكين ومراكز تستأجر الخطاطين الذين يقدرّون على تحقيق مطالب الراغبين في اقتناء الكتب، وكان هؤلاء يعرفون بالورّاقين، وكانت هذه الدكاكين توفر الكتب القيمة النادرة وكانت بمثابة مكتبات نفيسة يختلف إليها الطلاب يدرسون فيها ويستكتبون الكتب القيمة ليزينوا بها مكتباتهم الشخصية، وانتشرت أمثال هذه المكتبات قديماً وساعدت في نشر العلم.

بعد اكتشاف المطابع

ولكن اكتشاف المطابع زاد العملية سهولة ويسراً، فبدأت تظهر الكتب بسرعة غريبة وبأسعار منخفضة، ولكن الطباعة تكلف نفقات لا يتلاءم فيها إلا طبع كمية كبيرة من نسخ الكتاب، ولذلك يقوم التجار بطبع نسخ كثيرة ينقسم عليها التكلفة المالي فتكون نسخة واحدة بسعر مقبول وينتشر الكتاب بسرعة، ولكن رأس المال المبدول في هذه العملية لا يرجع إلى صاحبه إلا إذا بيع معظم النسخ من الكتاب.

ونظراً إلى هذه المصاعب والمشاكل لا يجتريء الناس على طباعة كتاب إلا إذا تأكدوا من سرعة بيعه حتى لا يسبب ذلك خسائر فادحة.

ثلاثة توجيهات بشأن الطباعة والنشر

لا بد من مراعاة ثلاثة أمور عند طباعة كتاب.

١ - أن يكون الكتاب قيماً يستحق الطباعة.

٢ - أن يتوفر المال المطلوب لنفقات الطباعة.

٣ - أن يكون من المتوقع رواج الكتاب حتى تباع غالبية النسخ.

وإن فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة فإن نشر الكتاب يشكل صعوبة كبيرة.

لا يقبل المؤلف على التأليف إلا إذا تأكد واستوثق من أن الناس سيقبلون عليه ويتناولونه بالدراسة والاهتمام، لئلا تذهب مساعيه هدراً وضياعاً إذا لم يتلق الكتاب أي قبول واهتمام، وإن من عادة القراء أنهم يشترون الكتاب إذا رأوا فيه نفعاً أو عائداً، ولقد قلّ إقبال الناس على الكتب الخطية وزهدوا فيها منذ بدأ صدور الكتب المطبوعة الجميلة، ولذلك لا يرى المؤلفون نفعاً كبيراً في تأليف الكتب إذا لم يجدوا مكاناً لطبعها، ويضيع جهد المؤلف سدى إذا لم يقدر على طباعة الكتاب أو نشره، فلا بد من الاهتمام بهذه الجوانب الثلاثة قبل تأليف الكتاب، وقلما تجتمع الأسباب الثلاثة المذكورة في رجل واحد من المؤلفين.

دور الطباعة والنشر

ولكن عالج هذه المشكلة توافر دور الطباعة والنشر، فإنها تقبل الكتب من المؤلفين وتقوم بطباعتها ونشرها اعتماداً على رأسمالها ومساعيها وخيراتها، إلى أن أصبح نشر الكتاب صناعة وفتناً، وقد تنال الكتب السخيفة مكان الكتب القيمة على أساس هذه الصناعة، وتطورت هذه الصناعة في أيامنا هذه إلى أن أصبحت مادة من مواد التعليم تدرس في مراكز التعليم.

ما الذي يزيد الكتاب انتشاراً ورواجاً

إن صيت المؤلف ومظهر الكتاب يحملان أهمية كبيرة في هذا الجانب، وقد يقبل الناس على الكتاب بموافقة موضوعه لعواطفهم ومشاعرهم وانتشاره في حينه وأوانه، فالكتّاب الحاذقون يختارون الموضوع طبقاً لمقتضيات الأوضاع وتلبية لحاجة الشعب أو طبقة من طبقاته، فتال كتبهم رواجاً وانتشاراً، وتنتهج بعض دور الطباعة والنشر كذلك هذا المنهج وتستغل حاجات الناس والأوضاع والملابسات، ولا تهدف إلا إلى كسب المال والثروة ويؤدي ذلك إلى التغاضي عن التمييز بين الخير والشر وبين الصالح والفاقد وبين الإنصاف والجور، ومن ثم فإن الكتب الترويحية الرخيصة المثيرة الملهية تنال رواجاً كبيراً وبه يكسب المؤلفون وأصحاب المطابع أموالاً طائلة وثروات هائلة، ويسود المجتمع الانحلال الخلقي والهبوط في القيم والمثل وتهان الكرامات وتروج البضاعة الرديئة، ولكن

نهم بعض الناس إلى الثراء يسوقهم إلى هذا العمل، ولقد ورد نهي شديد عن إشاعة الفاحشة فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ...﴾.

نشر الكتب الهادفة

لكن أصحاب الضمائر ورواد الحق لا يرمون إلا إلى الغرض الهادف النبيل، سواء كسبوا بذلك منافع مادية أم أضعوا فرصتهم فيها، ولكن هدفهم يكون دعماً للعمل التربوي والتهذيبي فيقومون بطباعة ونشر الكتب التي تحتوي على المواد العلمية والخلقية والثقافية والدينية وتحقق الأغراض التربوية، ولكن المحاولات الفردية في مجال الطباعة والنشر قلما تثمر ثماراً مطلوبة، وإنما تنجح في أداء هذه المهمة مؤسسات الطباعة والنشر.

المجامع العلمية

وتنقسم دور الطباعة والنشر إلى تجارية وعلمية، فأولاهما لا تركز على الهدف التربوي بل تنظر إلى فرص استدرار المال من مطبوعاتها، وهذه تلعب دوراً كبيراً في التأثير على اتجاهات الناس وأفكارهم، أما الثانية فهي هادفة، وتسمى الأكاديميات أو المجامع العلمية، وهي تضم إليها المؤلفين والكتاب، وتقوم بتربيتهم وتدريبهم أيضاً، وهي تختار أساليب ووسائل لخدمة موضوعات بناء هادفة، وتعقد اجتماعات استشارية وندوات علمية، وتؤسس مكاتب نفيسة تضم المصادر والكتب العلمية المتصلة بمواضيعها ليتمكن للكتاب والمؤلفين الاعتماد عليها والرجوع إليها في إعداد الكتب والرسائل، وتقوم بتدريب الطلاب في تنمية ملكتهم الكتابية وقدرتهم التأليفية.

مشاكل المجامع العلمية

ولما تكون عوائد هذه المجامع المادية أقل بالنسبة إلى تكاليفها في العمل فإنها تحتاج إلى المساعدة الحكومية أو إلى تجارة تضمن لها توفير الثروة والمال.

وبناء على انتشار الثقافة واتساع نطاقها في العصر الحديث فإن الكتب

والمؤلفات أصبحت تلعب دوراً واسعاً في مجال التربية الاجتماعية يكون ظهورها سبباً لتوسيع الثقافة النافعة تعليمياً وتربوياً إذا كانت الكتب خاضعة للأغراض الإصلاحية والعلمية والأدبية والدينية.

الكتابات الأدبية

اللون الأدبي

يكثر إقبال الناس على الكتابات التي يغلب عليها اللون الأدبي ويشهد اهتمامهم بها، يتمتعون بقراءتها ويستفيدون من محتوياتها ويتفاعلون معها.

التركيز على الشعور والوجدان

- وذلك لأن الكتابات الأدبية تركز على الجوانب التي تمس الشعور والوجدان البشري مباشرة، وهذا التركيز يزيد قوة ونفوذاً ويمنحها رونقاً وبهاءً، ولذلك فإن الناس أكثر إقبالاً على كلام الشعراء والخطباء الذين يهتمون بهذا الجانب، وهو الذي ينشئ القوة والتأثير في الكتابة والإنشاء، وكان العرب قبل الإسلام يصغون إلى الشعراء والخطباء وكانوا يستمعون إليهم ويتأثرون بهم.

التأثير البياني للقرآن الكريم

إن القرآن الكريم يحتوي على مواد الهدى والتعاليم الدينية والتوجيهات الخلقية والإصلاحية، ولكنه فاق الشعر والخطابة في التأثير وأسر القلوب، فما هو سبب ذلك؟ هو كلام الله أنزله للإرشاد والهداية، وهو ليس شعراً ولا أدباً في موضوعه، وإنما أنزل هداية للناس في أسلوب إيجابي رزين، فكيف يحمل قوة وتأثيراً يتضاءل أمامهما تأثير الشعر العربي القوي، إنما ذلك لأنه يتضمن أيضاً الجوانب التي تؤثر في شعور المخاطبين ووجدانهم تأثيراً إيجابياً رزيناً، ولذلك يرى طائفة من علماء المعاني والبيان أن الجانب البياني من القرآن الكريم هو الذي يتجلى فيه إعجازه بصورة كبيرة، فالقرآن أخذ بمجامع القلوب وأسر الألباب وسحر النفوس، ولقد خضع له العرب وهم فرسان ميدان الفصاحة والبيان

وسباق حلبة الرهان، وهذا التأثير لا يزال مستمراً واعترف به الأصدقاء والاعداء على حدٍ سواء.

التأسي بالقرآن الكريم

يدل تأثير بيان القرآن الكريم وإعجازه على النفوس على أن الكلام يزداد قوة وتأثيراً إذا تضمن الاهتمام بالشعور والوجدان النفسي، فتأسي المصلحون والأئمة في عهود الصحابة والتابعين بهذا الأسلوب السماوي الأخاذ الذي يتسم بالبيان والفصاحة والسحر والنفوذ والرزانة والإيجاب والبناء، والقوة الأدبية المؤثرة التي تأسر القلوب والنفوس، ومن الأئمة المبرزين في هذا الأسلوب الحسن البصري وابن الجوزي، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، رحمهم الله تعالى.

الأدب الحسن والأدب القبيح

والأدب هدام إذا انحرف عن القيم الخلقية والأغراض الهادفة البناءة، إنما يخضع الأدب لصاحبه، فليس هو حسناً ولا قبيحاً بذاته، بل يكون الحكم بحسنة وقبحه بناء على ما يهدف إليه ويريده صاحبه منه.

الإمتاع الأدبي

إن الأدب الحافل بالشعور والوجدان ينشئ في النفس لذة وامتعة، حلوة كانت أو مرّة، وذلك طبقاً لموضوعاته ونفسية القراء العاطفية والفكرية، فيجب على أصحاب الأدب أن يدركوا ذلك ويجعلوا ما يكتبونه أو يقولونه متلائماً مع الخير وخدمة المصالح الحسنة.

الاقتصار على المتعة واللذة

يركز بعض الأدباء على جانب اللذة والمتعة ولا يرمون إلى غرض هادف نبيل أو غاية إصلاحية بناءً، ويحصرون أدبهم أو إنتاجاتهم الأدبية في هذا النطاق ولا يستحيون من التحرر والانحلال إذا نتج عن ذلك اللذة والمتعة، حتى إنهم يستغلون الغرائز النفسية الهابطة في نفوس الناس.

الاستمتاع بالعواطف الخسيسة

إن هؤلاء الأدباء يستلذون كذلك بإيلام الآخرين والنيل منهم وتدور إنتاجهم الأدبية حول مواضيع المباهاة والهجاء والاستهزاء والخلاعة والمجون والاستهتار والانحلال والإباحية والشذوذ الفكري والجنسي، مما ينسجم مع العواطف والمشاعر الهابطة الخسيسة، ويحاول هؤلاء الأدباء أن يحصروا تسمية الأدب والفن بهذا النوع من الأدب وحده، كأن الأدب ليس إلا إنتاجات هؤلاء الأدباء وحدهم الذين لا يرمون إلى أي غرض إيجابي بناءً.

طبيعة الأدب الماجن

والناس بصفة عامة يجنحون إلى الانحلال والخلاعة فينتشر فيهم الأدب الماجن الهدام بسرعة، ومثل هذا الأدب ينال القبول والرواج لأن أخلاق الانحراف والميوعة والشذوذ قد شاعت في الناس، فهم أيضاً لا يقبلون كمادة أدبية إلا الإنتاجات الممثلة للإباحية والخلاعة والانحلال الخلقي، ولقد غلب هذا اللون من الأدب في كلام طائفة من الشعراء والأدباء، ولكنه من الجهل وفساد النظر أن يحصر الأدب بما يفسد الأخلاق والذوق ويهدم بنيان المجتمع.

حقيقة الوجدان وقوته

يُعنى بالوجدان الشعور الإنساني الذي لا يتقيد بأساس عقلي خاص، وهو ينشأ من أعماق الشعور النفسي فيستحسن شيئاً ويستقبح آخر ويستلذ بشيء ويتألم بآخر، ولا يكاد يفسر هذه الظاهرة تفسيراً عقلياً سهلاً وإنما يخاطب الأديب هذا الشعور بالذات، والوجدان قوة كبيرة تتحكم في الأدب.

الخطوات الأدبية الجادة

انقسم الأدب إلى أنواع عديدة، كالشعر والخطابة والقصة والرواية، وهي أنواع ذات خطورة بالغة وتأثير كبير، والأدباء يتخذونها في الغالب مواضيع لإنتاجاتهم، ولقد أخذت القصة والرواية والمسرحية والشعر تلعب دوراً خطيراً في المجال الأدبي، وزادتها وسائل الطباعة والنشر رواجاً وازدهاراً، وهذا الأدب هو الذي

نلمس آثاره وراء تكوين ميول الناس ومشاعرهم واتجاهاتهم إلى بناء أو هدم أو إصلاح أو فساد، ولا يسع أحداً أن ينكر ما للقصة والرواية والمسرحية من دور فعال وتأثير وعمل في مجال التربية الاجتماعية، ولذلك يجب على رجال التربية والتعليم أن يسخروا هذه الأقسام الأدبية المختلفة لأغراضهم التربوية التعليمية البناءة الهادفة.

الصحافة

الصحافة كوسيلة مؤثرة من وسائل الإعلام والنشر إذا كان اختراع المطابع قد مهد السبيل لنشر الكتب والمؤلفات والرسائل على مستوى واسع فإنه أوجد كذلك وسيلة مستقلة للإعلام والنشر وهي الصحافة التي جاء اكتشافها متأخراً عن تاريخ اكتشاف المطابع.

الصحافة وسيلة تربية

تفوق الصحافة الكتب والإنتاج الأدبية الأخرى نفعاً وتأثيراً، لأنها تنقل بسهولة الموضوعات والأفكار المتجددة إلى القراء، وتعمل كأداة تربية ناجحة إذا كان هدف الأخذ بزمامها نبياً بناءً، وتصبح أداة هدم وإفساد إذا كانت العقول المخططة من ورائها هدامة مفسدة، وهي بذاتها ليست إلا مجرد أداة ووسيلة ولكنها تخضع لإرادة من يصرف زمامها.

الصحافة: المجلات والصحف

تتجلى أهمية الصحافة إذا كانت في نطاق الجرائد اليومية أو نحوها، فقد يجد قراؤها توجيهات وتعاليم يومية، بل يتلقون دروساً منظمة متلاحقة كالغذاء الرتيب، وهناك قسم آخر من الصحافة، وهي المجلات الشهرية أو نحوها، ولكنها - لطول فترة صدورها - لا تحمل تأثير القسم الأول، ويجدر بنا أن نتحدث عن كلا النوعين بشيء من التفصيل.

طبيعة المجلات

ترداد الصحافة الشهرية نفعاً وتأثيراً إذا حصرت نفسها في المجالات العلمية والأدبية والدينية والاجتماعية ونحوها من الموضوعات، التي يغلب عليها اللون

العلمي والأدبي، فإن طبيعة الصحافة الشهرية فكرية رزينة في معظمها، وتؤثر تأثيراً لاثقافياً منشوداً إذا جاءت بفترات تتناسب مع رغبة القراء، ويرغب فيها القراء ويحرصون على دراستها وتصفحها على قدر السعة في وقتهم واستعداد نفوسهم ولا يُقبل على مثل هذه الصحافة عامة القراء إلا إذا كانت الصحيفة شيقة في محتواها رائقة في ظاهرها.

نظام الصحافة الشهرية

ومما يضر بالصحافة الشهرية ويخفف رغبة الناس إليها أن يتهاون أصحابها في تقيدهم فيها بالنظام والموعد، ولذلك لا بد لأصحابها من أن يضعوا خطة لا ينحرفون عنها فيجب أن تصدر المجلة في موعدها وحسب نظامها وتلتزم بمبادئها التزاماً دقيقاً، وإذا قصرت فترة صدور الصحيفة وبدأت تصدر في أقل من مدة شهر فيلزم حينئذ أن تمزج محتواها بمادة تسترعي الالتفات وتحمل الترفيه الثقافي بصورة أكبر، لأن المجلات الأسبوعية أو النصف الشهرية تكون في وسط من الصحافة الشهرية والصحافة اليومية فهي تنتهج أسلوباً مختلفاً عن الصحافة اليومية وعن الصحافة الشهرية جميعاً، وهي وإن كانت تسير على خطة الصحافة الشهرية، ولكنها تحمل جانباً من طبيعة الصحافة اليومية.

مجال الصحافة الشهرية

وبما أن الصحافة الشهرية علمية وأدبية في طبيعتها الأساسية فلا يطالعها ولا يستفيد منها إلا عدد قليل من أولئك الذين يُعرفون بارتفاع مستواهم العلمي والأدبي والذوقي، ومن أجل ذلك يكون عدد قرائها قليلاً بالنسبة إلى قراء الصحف اليومية ويؤثر ذلك على مواردها.

دائرة القراءة والمواد

تطلب الصحافة أولاً أن ينظر بدقة في ما هي دائرة القراء وما هو عددهم؟ وبالتالي ما هي أذواقهم ومواهبهم وأفكارهم وميولهم؟ ثم ليعنى بمواهبهم وأفكارهم واتجاهاتهم العلمية والأدبية إذا كانت الصحافة في وضعية المجلات،

أما عادة الناس في اختيار مواد الصحافة فهي أنهم إما يجمعون بين نواحيها المختلفة، أو يقتنعون بناحية أو ناحيتين منها، كالمجلات العلمية والاجتماعية والفلسفية، والمجلات الأدبية والفنية، والمجلات الدينية.

المتعة الأدبية

يحتوي كل نوع من هذه الأنواع على متعة أدبية لأنها تستهوي قلوب القراء وتأسر أفئدتهم وتربط نفوسهم بهذه الكتابات الأدبية، وإن تجردت عن مزاياها الأدبية الفنية وبقيت مواعظ وتوجيهات بحثة يتضاءل الإقبال عليها وربما انعدم.

الأهداف الصالحة والفسادة

ونظراً إلى هذه المصالح يهتم أصحاب المجلات والصحف بالفن والمتعة الأدبية والتسلية، ولكن بعضهم يتخطى الحدود فلا يميز بين الحق والباطل، بل يركّز عنايته على توسيع نطاقها ودائرة انتشارها ابتغاءً للمال والثروة أو المنافع المادية الأخرى، وهؤلاء لا يعملون إلا لإثارة الأهواء والشهوات النفسية والغريزة الجنسية البشرية طلباً لزيادة عدد القراء وتضخم ثروتهم المالية، فأصحاب هذه المجلات من ناحية يزيدون مواردهم المالية واكتسابهم لمنافع هابطة قدرة، ومن ناحية أخرى ينشرون الفساد والانحلال والفوضى الخلقية والميوعة والخلاعة في العالم، وتصدق عليهم الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

وتدخل في هذا المجال أيضاً مجلات تركز على معارضة القيم والمثل الدينية والخلقية البحتة، كما أنها تبعث السموم في المجتمع وتقطع علاقة الناس بربهم.

المنهج السائد

إن المنهج السائد للمجلات أنها تجمع بين مواضيع عديدة حتى توافق رغبات القراء المختلفة، وتوفر لهم أصنافاً شيقة متنوعة، فهي تجمع بين المواضيع العلمية والاجتماعية الثقافية والأدبية والدينية، ويكثر عدد قراء أمثال هذه

المجلات لأنهم يظفرون منها بما يشبع رغبتهم ويحقق حاجتهم، وأما المجلات التي تركز على موضوع أو موضوعين فإنها تحتاج إلى معرفة ميول قرائها، ثم تحديد جانب منها لمجالها العملي، وهناك وسائل عديدة لتوسعة النشر منها: الاستعانة بالإعلانات عن المجلة واختيار طرق الإعلام المؤثرة، والمجلات تركز على تنوع موضوعاتها لكلا تسبب السامة والملل لقرائنها، وتسعى لاستكتاب أشخاص يختلفون في طبائعهم وأذواقهم، بذلك يجد القراء من يُعجبون بهم من الكتاب والصحفيين، وهذا يفيد من ناحية انتشار الصحافة واتساع نطاقها أيضاً.

الالتزام بالمخطة والافتتاحية

نظراً إلى الاحتفاظ بهذا التنوع الممتع تحتاج كل مجلة أن تضع لها خطة تلتزم بها ويتعين بها مسار المجلة وتعرف بها وجهتها وفكرتها، وتحقق هذا المطلوب الافتتاحية التي يكتبها شخص واحد، فإنها تحمل قيمة وأهمية كبيرة، وهي تلقي الضوء على خطة المجلة وسياستها، وتعتبر مقالة أساسية تنفع القراء في أخذهم للفكرة الواضحة عن موضوعات مهمة تكون من وحي الساعة.

الصحافة اليوميّة دَوْرُهَا وَفَيْمَتُهَا

إن الصحافة اليومية وما يشبهها تلعب دوراً أشد تأثيراً وقيمة من الصحافة الشهرية أو نحوها، فالقراء يجدون فيها غذاءً راتباً فكرياً وعاطفياً، ويتطبون بها ويتفاعلون معها تدريجياً.

الصحافة تقوم مقام مربّ ناجح

إن الذين يطالعون الصحف والجرائد تكون لهم بمثابة معلم أو مرب ناجح يقلدونها ويرددون كلماتها وهتافاتهما ويستفيدون منها في الأساليب والأفكار والاتجاهات.

دور الصحافة في التجارة

الصحافة أشمل وسيلة ديموقراطية لتعبئة الرأي العام في نظام المدنية الغربية، وقد احتلت الصحافة مكان السياسة والسيطرة في النظام الغربي للحياة، وهي لا تقف عند حدود الأهداف الخلقية والاجتماعية، ولقد بسطت نفوذها على المصالح التجارية كذلك ونفذت إليها نفوذاً تاماً، فالبلاد المتقدمة التي اتخذت الحياة المادية والتجارية ديدنها ومبدأها الأصيل فهي لا ترى إلا بمنظار المنافع والخسائر المادية، جعلت الصحافة فيها أهم وسيلة لترويج البضائع وتطوير التجارة فتصدر الصحف والجرائد اليومية فيها في نحو سبعين صفحة أو أكثر أو أقل، ولا تكون منها إلا ثماني أو عشر صفحات تختص بنشر الأنباء، أما البقية فتكون للفنون والتسلية وللإعلانات والشؤون المادية والتجارية.

الصحافة أداة اتصال شاملة

وصارت الصحافة أكبر أداة للاتصال وأشملها من جهات عديدة في الحياة

المتحضرة اليوم، بل أصبحت أخطر وسيلة وأهمها للاطلاع على مجرى الحياة الاجتماعية وأحداثها في نواحيها المختلفة.

الشمول

وتحاول الصحافة نظراً إلى شمولها واتساع نطاقها أن تجمع بين سائر نواحي الحياة السائدة، من الأحداث والوقائع، وأخبار الفرح والسرور والهم والحزن، والمآدب والمآثم، والاحتفالات والاجتماعات، والتصريحات، والإعلانات، والأوضاع السياسية والتعليقات عليها، والثقافة والاقتصاد، والعلم والأدب والطرائف والنوادر، وهكذا يجد أفراد الطبقات والطبائع والأذواق المختلفة بغيتهم في صحيفة واحدة، ولذلك يواظب الناس على متابعة الصحف والجرائد كل يوم.

وحينما يطالع شخص صحيفة ليتعرف على ما يطابق ذوقه وطبيعته، فإن بصره يقع بصورة تلقائية على الأحداث والأنباء والتصرفات التي لا تمت إليه بصلة ما كذلك، ولكن عناوينها تستجلب نظره فيظن فيها متعة أو فائدة فيلتفت إليها قراءة وفهماً وهي نفسية يعرفها أصحاب الجرائد ويستغلونها، وبذلك يدخلون في أفكار القراء وعقولهم بما يهدفون إليه من الأغراض والمصالح.

دور العناوين

يعتبر تنسيق العناوين المنظم وتأليفها الأدبي عاملاً كبيراً لحمل القراء على مطالعة المواد الصحفية التي يريد أصحاب الجرائد نشرها وتعميمها بين الشعب، فهي تلعب دوراً كبيراً وتستخدم لتوسعة نطاق الصحيفة كذلك، وإن لعقول أصحاب الجرائد ومواهبهم العلمية والأدبية دوراً عظيماً في هذا التنسيق والتأليف.

الأهداف

يستخدم أصحاب الصحافة وسيلة وضع العناوين وعرض المضمون بطريقة شيقة فيكسبون بها مطلوبهم، فبعضهم يرمون إلى المصالح السياسية فينتهجون في اختيار الأنباء وأسلوب تقديمها وترتيبها طريقة تساعد على تكوين فكرة معينة

أو هدم الأفكار والاتجاهات الأخرى واستئصالها، ويرمي بعضهم إلى الأغراض التجارية يحاولون ترويح بضائهم وتطوير تجارتهم عن طريق الصحف والجرائد، إنهم لا يقومون بتكوين فكرة أو اتجاه بل ينتهجون في اختيار الأحداث والأنباء وأسلوبها منهجاً يزيد تجارتهم ازدهاراً وتقدماً، وبذلك يكتسبون أوفر حظ من المال والثروة.

الصحافة في النظام الشيوعي والفاشي

تحاول الصحف السياسية تحقيق أغراضها ومصالحها السياسية في العصر الحديث بطرق ظالمة غير مشروعة بصفة عامة، أما في النظام الشيوعي أو الفاشي فتكبل الصحافة بقيود تخمد حرارتها وحيويتها، فتصبح الصحيفة مجرد صحيفة جافة فارغة عن الروح واللذة خاضعة للمصالح الحزبية أو الحكومية، لا تتناول قضايا الشعب ولا تبحث في رغائبه ولا مصالحه الأصلية وتقضي على روح العدل وآراء الحق، وهي تؤكد في نفس الوقت أن نشاطاتها ليست إلا لصالح الشعب، وأنه ليست صحيفة أو جريدة أنفع أو أصلح للشعب منها، ويبلغ الأمر إلى أقصى حدوده، ولا يبقى للجماهير نافذة مفتوحة إلا هذه النافذة الوحيدة.

الصحافة في النظام الرأسمالي

وأما الصحف التجارية فلا تهتم إلا بالمصالح التجارية، وهذا الاتجاه يصطدم مع المصالح الخلقية للشعب، ولكن المسؤولين عن الصحف يفضون أبصارهم عن هذا الخسران العظيم، بل ويستغلون هوى النفوس في المتعة والتسلية، فيقدمون مواد توفر لها الترويح واللذة مهما جر ذلك إلى الانحلال الخلقي وتدهور القيم والمثل، وهذه الطريقة تسود اليوم في النظام الرأسمالي الغربي.

النظام الفني للصحافة

يجب عند تسيق الصحف وتنظيمها أن تطبق مبادئ وأسس تزيد من قيمتها ونفعها، وقد أصبحت الصحافة اليوم فناً من الفنون وصناعة من الصناعات يجري تعلمها والتدرب عليها في المدارس والجامعات، ويعنى فيها بتسيق الأنباء

والأحداث واختيارها، والتعليقات والتحليلات، وطبيعة الافتتاحية ورزانتها، وتحسين اللغة والأسلوب، وترتيب العناوين وإيجاز الأنباء والاستعراضات، ونشر الصور في حدودها المشروعة، وغيرها من المستلزمات الصحفية الأخرى، فالذين يتعلمون هذه الصناعة نظرياً أو تطبيقياً يمتلكون ناصية الصحافة وهي تأتي إليهم بثمار صالحة نافعة.

النشر والدوريات

تصدر الصحف والمجلات أحياناً بدون تقيّد بنظام يومي أو شهري منظم، بل تصدر بصورة خاصة وشكل دوري طبقاً للظروف والأهداف الخاصة، وتسمى نشرات أو دوريات تصدر لأغراض شتى من تزويد أخبار من نوع خاص، أو إطلاع على أحوال أو إبراز مساعي ومجهودات جمعية علمية، وتتخلل إصدارها فترات مختلفة حسب الظروف والأوضاع، فبعضها فصلية وبعضها نصف سنوية وأخرى سنوية، وهي تكون في طبيعتها وأسلوبها قريبة إلى المجلات الشهرية.

الوسائل الإعلامية الأخرى

ظهرت في المدينة الحديثة وسائل إعلامية أخرى مستفادة من الصحافة، وهي تعمل في مجال ضيق أو نطاق محدود نشطت من أجل انتشار المطابع ورواجها، كاللاصقات واللافتات، وتستخدم في الحياة المعاصرة استخداماً عاماً، وتلعب دوراً خطيراً في التأثير في الأفكار والمواقف وتكوين الثقافة والأخلاق.

اللاصقات

اللاصقات نوع من الإعلان الصحفي، ولكنها تأتي بآثار أخطر وأقوى منها، أما الإعلانات في الصحف فلا يمكن أن تكبر وذلك لزيادة التكلفة وضيق حجم الصحف، ولكن الإعلانات تنشر في اللاصقات في صفحة أكبر بكثير من صفحات الصحف والجرائد.

تلتصق هذه اللاصقات على ممر عام فيطالعها المارة من قريب أو بعيد في لحظات بسهولة تامة، وقد يلاحظ لاصقة واحدة مئات من الأشخاص، ولا تنتهي مهمتها في يوم بل تقوم بخدمتها إلى أيام متواصلة، وتحقق أهداف أصحابها وأغراضهم.

الأسس الفنية لللاصقات

تهدف اللاصقات إلى التأثير في عامة الشعب، ومن أجل ذلك فقد يُعنى فيها بركائز تثير عواطفهم ومشاعرهم كإشارات وجمل وعبارات تنفذ بسرعة إلى قلوب الناس ونفوسهم، كما يركز فيها على الترميز والزخرفة والرسوم الخطية

الجميلة، والصور الفنية الخلاصة، ويهتم فيها كذلك بالخط الجلي لإبراز عناوينها.

وإنما يركز أصحاب السينما على الصور والرسوم في لاصقاتهم وتكون العبارات والكلمات تابعة لها.

الصحف الحائطية

اتخذت اللاصقات بناءً على المتطلبات الحضارية المنوعة صوراً وأشكالاً عديدة، منها الصحف الحائطية التي يكثر انتشارها في البلدان التي لا تتمتع فيها الصحف بحرية النشر، وحيث لا يجد الناس أداة للاتصال غير الجرائد الحائطية، ويقع ذلك في أوضاع القهر والضغط التي تفرض فيها الحكومة على الإعلام سيادتها ونفوذها، وتملي عليه إرادتها، فلا تُنشر فكرة تعارضها الحكومة، ولو كانت هذه الفكرة تمثل طبقة كبيرة من الشعب، وحينما يشتد الانفجار الشعبي يحاول البروز عن طريق الوسائل السرية كاللاصقات أو الصحف الحائطية التي تلتصق على الحيطان ليلاً ويطلعها الشعب نهائياً.

وأحياناً تستخدم الحكومات هذه الوسيلة الشعبية لمصالحها الكامنة من دون أن تظهر اسم صاحبها.

اللاصقات كوسيلة للإعلان

ومن فائدة اللاصقات نشر الإعلانات الكبيرة، وهي تكون للدعاية وللإعلان عن الاحتفالات والأهداف التربوية والإصلاحية كذلك.

الخراطيم التربوية

وتقوم اللاصقات بأداء العمل التربوي إذا كانت في شكل الخراطيم والجداول التربوية التي تستعمل في المدارس والمساجد والمؤسسات التربوية وبيئات الطبقات الخاصة للطلاب وعامة الأفراد، يطلعها المارة وتحفظها ذاكرتهم، وتحقق بها الأغراض التعليمية والتربوية.

ومن أجل ذلك فإن النظم التعليمية والتربوية تُعنى بالانتفاع بالخرائط
والجداول، وتقدم بها تعليمات وتوجيهات قيمة خطيرة في أسلوب ممتع هادف.

الصحف الحائطية للطلاب

وتصدر الصحف الحائطية في المدارس والمؤسسات التعليمية لتربية
الطلاب وتدريبهم علمياً وصحفياً، ونقل الأفكار والكتابات للزملاء والأصدقاء في
بيئتها الخاصة.

الوسائط الصوتية والبصرية

أهمية الإذاعة

قد أصبحت العملية الإذاعية من أهم الوسائل الصوتية وأشملها وأبعدها تأثيراً ونفوذاً، وهي أشد تأثيراً على النفوس وقد سهلت بشكل كبير نقل الأصوات إلى المجتمعات الحديثة، فقد فقدت الحفلات والخطابات الشعبية جانباً كبيراً من التأثير بسبب تباعد المسافات وصعوبة اجتماع كثير من الناس في مكان واحد، ولقد كانت الحفلات تحمل تأثيراً كبيراً وأهمية خاصة في الماضي، لكن الإذاعة اليوم بدأت تلعب دوراً كبيراً لتحقيق الأغراض الشاملة في هذا المجال.

الإذاعة خاضعة للحكومة

نظراً إلى هذه الأهمية التي تحملها الإذاعة تولت الحكومات إدارتها، وهي تستخدمها كأداة خاضعة لمصالحها وأغراضها، تؤثر بها في العقول والأفكار وتحصر الشعب في نطاق برامجها المحدودة فلا يسمع إلا ما تريد ولا يقبل ولا يستجيب إلا لما تمليه عليه.

بين الصحافة والإذاعة

إن الصحافة ولا سيما الصحافة اليومية تلعب دوراً كبيراً في هذا المجال بدون شك، ولكنها وسيلة كتابية تبتني على أساس ثقافي، ولكن الإذاعة وسيلة صوتية لا تفتقر إلى أساس ثقافي.

الإذاعة فن

قد بسطت الإذاعة دائرة نفوذها بسعة استخدامها الذي تقوم به الحكومات

لتمهيد السبيل لتحقيق أهدافها التوجيهية والتعليمية، وتطورت الإذاعة بناءً على خطورتها البالغة وسرعة انتشارها إلى نظام مستقل وإلى صناعة منفردة، وإن تطبيق أسسها الفنية الدقيقة يساعد في تحقيق أهداف القائمين عليها، وهي تتطلب على سبيل المثال أن يكون الصوت فيها على مستوى يدركه المستمعون وبألفونه، ولأجل ذلك فإن المقدمين - مقدمي البرامج بواسطة الإذاعة - يحتاجون إلى إعدادهم النطقي والصوتي، ولذلك يتدربون على تحسين لهجاتهم ونبرات أصواتهم كي لا تنبو الأذان عنها، وكذلك يهتم بأن تكون اللغة سهلة سائغة والأسلوب ممتعاً مثيراً. بل إن الصحافة والإذاعة كليهما تستهويان في هذا الجانب ولا فرق بينهما، إلا أن المتابعين للصحافة لا بد أن يعرفوا القراءة، ويمكنهم أن يطالعوا الصحف في فترات مختلفة ويستسيغوها، أما الإذاعة فينقصها هذا الجانب، فإن المستمع إن توقف أو تغافل فاتته النشرة ولا تعود، ولذلك فإن الإذاعة أشد اهتماماً باللغة السهلة والأسلوب الميسور.

التركيز على جانب التسلية والترفيه في الإذاعة

يركز في برامج الإذاعة على جانب التسلية والترفيه حتى يجد فيها المستمعون متعة ولذة، فتقدم الإذاعة ضمن برامجها الأخبار والمسرحيات والأغاني والحوار والمقالات السهلة الممتعة وغيرها من البرامج الممتعة الطريفة.

فائدة التسجيل

وباختراع التسجيل حصل تسهيل كبير في أداء مهمة الإذاعة، وكان المتحدث قبل ذلك مفروضاً عليه أن يحضر على الموعد المحدد لدى الميكروفون ثم يبت صوته، وأما التسجيل فقد سهّل العملية، والتسجيل يعتبر نافعاً في سائر برامج الإذاعة، ولا سيما في الأغاني فإن تسجيلاتها تكون أكثر من أي برنامج آخر.

الإذاعة المرئية

منذ أن اقترنت الآلة التصويرية مع الآلة الصوتية في الإذاعة وحصل اختراع

التلفزيون حدثت ثورة في نظام الإذاعة وأصبحت هذه الوسيلة الإعلانية المشتركة تقدم خدمات جليلة في مجال التعليم والتربية.

الإذاعة كألة تربوية

لقد بسطت الإذاعة نفوذها على الحياة الاجتماعية في المجتمع المتحضر الحديث، وأصبحت أكبر مربِّ وموجِّه لها، إنها تستهوي الناس وتقوم بتربيتهم الفكرية والعاطفية، فالأيدي التي تدير هذا النظام تملك أكبر وسيلة لتكوين الشعب والمجتمع ولذلك تفرض الحكومات نفوذها وسيادتها على هذه الوسيلة الإعلامية.

تخضع الإذاعة لتوجيهات الحكومة كلياً في حدود الأخبار والتعليقات السياسية، وأما البرامج الأدبية والثقافية فقد يتمتع المسؤولون عنها بتدخل كبير في إعدادها ووضع مسارها وخطها ويخضعونها لأذواقهم وطبائعهم.

البرنامج الثقافي

من أهم البرامج الثقافية المسرحيات، وهي من أكبر وسائل التأثير في العقول والعواطف البشرية، أما المسرحيات الموضوعية الهادفة فتساعد في بناء الفكر الصالح والاتجاه المستقيم، وأما المسرحيات الترفيهية فإنها وإن كانت غير هادفة فهي تقوم كذلك ببناء الفكر أو إفساده ولا نخالي إذا قلنا إنها تفسد العقول والأفكار وتخربها في الغالب.

تأثير المسرحيات

تمثل المسرحية جزءاً مؤثراً خطيراً من الحياة البشرية يتأثر بها الحضور المستمعون كأنهم يشاهدون الواقع عياناً، وأكثر ما يتأثر الإنسان بمشاهدة الحياة ونواحيها المختلفة، وجاء التلفزيون فأخرج المسرحيات من النطاق الصوتي وأدخلها في النطاق الصوتي البصري حتى قربها إلى الواقع.

الدعاية

إن الذي يُخضعون الإذاعة لمصالح الدعاية وتكوين فكر خاص يستخدمونها

بصفة عامة للأخبار والتعليقات والحوار، ولكن هذه الموضوعات خشية رتيبة
فيراعون في تنسيقها أن لا يسأم منها المستمعون، فيقدمون إلى جانبها الأغاني
والمسرحيات والبرامج الثقافية كذلك، ويتخذونها وسيلة لنشر أفكارهم وآرائهم.
وعلى كل، فإن الإذاعة قد احتلت أهمية كبيرة في الحياة المتحضرة
المعاصرة وأصبحت آثارها في تربية الحياة وتكوينها واقعاً لا يُنكر ولا يُغض عنه
البصر.

الوسائِل البصريّة

السينما والأفلام

ويلي الصحافة والإذاعة في التأثير والنفوذ التلفزيون والسينما، أما السينما فهي أقدم من التلفزيون، كانت السينما في البداية صامتة تشاهد فيها الحركات الصورية من دون صوت، ثم قرن بها الصوت، واخترعت السينما بعد اكتشاف الكاميرا، الحركات تمر في السينما على الشاشة بسرعة يتخيل الناظر أنها صور واقعية حية والصور الكثيرة المختلفة تمثل الحركات البشرية المختلفة اعتماداً على تحريكها على الشاشة.

توضع قصص وأحداث وأدوار خيالية لإعداد صور السينما ومشاهدها، ثم تعد الأفلام، وتعرض في قاعات السينما.

تأثير السينما

تكون القصص والأحداث المعروضة على الشاشة مثيرة خلاصة، كالمسرحيات والروايات، وتعتمد السينما على البصر فتؤثر في الأخلاق والشعور تأثير المشاهد الحقيقية وتؤكد التجارب أن أفلام السينما كان تأثيرها أشد على أخلاق الحياة الشعبية وسلوكها بالنسبة إلى أي مؤثر آخر، وتقام دور السينما بصفة عامة للأغراض الاقتصادية فتطغى على الأغراض الأخرى ولا يكثر أصحابها بما إذا كانت تترك أثراً صالحاً أو فاسدة على الحياة الاجتماعية، وإن الأساليب أو الوسائل التي يتخذونها لإدخال روح التسلية والمتعة والترفيه فيها تقطع بأن لا سبيل إلى أن يرجى منها ظهور آثار صالحة بناءة.

الأثار والاتجاهات الهدامة

تحاول السينما هذه الأيام استغلال النزعات البهيمية في الإنسان وتعرض أفلامها مشاهد تثير الشهوة والغريزة الجنسية، ويكتسب أصحابها عن هذا الطريق منافع مادية. لا تُعنى الأفلام الآن إلا بعرض مشاهد الحب والغرام والخلاعة والمجون والاستهتار والقتل وأخذ الثأر وقطع الطريق، يشاهدونها ويتشربونها ويحاكونها ويصبح المجتمع رغم كراهيته لها يتغاضى عن هذه المنكرات ثم يعترف بها، ولقد نالت صناعة السينما الاهتمام كصناعة قومية تتولاها الحكومات وتشرف عليها، ولكنها كذلك تبقى عاجزة عن فرض أي قيد على حرمتها المطلقة للأسباب المادية.

منافع الأفلام

ويمكن أن تستخدم الأفلام السينمائية للأهداف الصالحة إن فرضت عليها رقابة لائقة، كتعليم الأمور اللازمة الضرورية، يستطيع المقيمون في البلد أن يطلعوا عن طريقها على أحوال الصحارى المخيفة المروعة ومناورة الأعداء وتحركاتهم والمعارف العلمية والجغرافية التي يصعب علينا إدراكها، ولكن استعمال الأفلام لهذه الأغراض النافعة لا يكسب لأصحابها ثروة ولا مائلاً لأنها موضوعات خشبية لا لذة فيها ولا متعة فلا يرغب الناس فيها، ولكن يمكن للحكومات أن تعرض هذه الموضوعات ضمن برامجها وتفرض الحظر على البرامج السينمائية التي تضر بالأخلاق والقيم.

التلفزيون وتأثيره

ولما تطورت الإذاعة تقدمت من النطاق السمعي إلى النطاق البصري كانت تبت الصوت عبر الموجات الهوائية أولاً فبدأت تبت الصور كذلك، وتم اكتشاف هذا النوع الجديد من الإذاعة، وهو يسمى بالتلفزيون. كان الناس فيما قبل ذلك يشاهدون الأفلام السينمائية في دورها، فبدأوا الآن يحصلون على أشرطةها ثم يشاهدونها على شاشة التلفزيون، فعمت الآن الأثار السيئة الفاسدة للسينما وأصبحت الحياة الاجتماعية تتأثر بتلك الاتجاهات والمشاعر التي تعرضها الأفلام

السينمائية والتلفزيون في نطاق واسع، والحكومات لا تفرض أي قيد أو حظر على برامج التلفزيون، بل تُبقي لها الحرية كما أنها تعطي الحرية المطلقة للسينما، وسبب ذلك أن المسؤولين في الدوائر الحكومية إنما يتم إعدادهم وتربيتهم في النظم التعليمية والتربوية التي لا تُعنى بتكوين السيرة والسلوك، بل تثير الغرائز الجنسية والشهوات البهيمية.

التسجيل

وتطورت الوسائل الصوتية حتى اكتشفت آلات التسجيل، التي تقيد الأصوات وتسجلها ثم يسمعها الإنسان متى شاء، والتجار يسجلونها في أشرطة الكاسيت، ثم يعرضونها للبيع، والناس يشترونها ويستفيدون منها في قضاء رغباتهم وتحقيق أهوائهم.

الفيديو

ثم توصلوا إلى اكتشاف تسجيل المشاهد، يسجلونها، ثم يضعون أشرطةها في التلفزيون ويستعرضون ما شاؤوا من المشاهد، وهي تسمى بالفيديو، وهي التي ساعدت كثيراً في نشر المضار والمساوىء على أوسع نطاق، كان الناس أولاً يشاهدون الأفلام السينمائية، ثم كانت تغيب عنهم آثارها بمر الزمان، ولكن اكتشاف هذه الآلة المسجلة للصور والمشاهد قد أتاح لهم فرصة إعادتها متى شاؤوا وما أرادوا منها.

الوسائل التربوية الأخرى

المكتبات :

مساهمة المكتبات في نشر العلم والمدنية

وتحتل المكتبات مكان أهمية كبيرة في مجال التعليم والتربية، ولا نعدو إذا قلنا أن للمكتبات إسهاماً كبيراً في تربية العقول والأفكار وتكوين الميول والاتجاهات.

تعتمد الأمم المتحضرة في العالم البشري على المكتبات في ازدهار مدنيها ورقبها، فالتجارب والخبرات الشخصية المحدودة لا تؤدي دوراً واسعاً في مجال تقدم العلوم والصناعات والمدنية، بل إن تجميع العلوم والتجارب الحاصلة لدى المتقدمين ثم تدوينها وتخليدها بالكتب يشكل أساساً متيناً تقوم عليه صروح التقدم والتطور، وتنفع هذه الثروة العلمية المحفوظة عن طريق الكتب التي تدخر في المكتبات حسب فنونها وأقسامها ومراتبها.

إن الدارسين لهذه الكتب يطلعون على الثروة الواسعة العميقة للعلوم والصناعات، ويوفرون أسباب الفكرة والقوة لعقولهم وقلوبهم.

دور المكتبات في تكوين العقول والأفكار

تسهم المكتبات إسهاماً كبيراً في تكوين العقول والأفكار في بيئاتها وأجوائها، يقصدها الطلاب ويستفيدون من كنوزها العلمية ويتأثرون بأفكار مؤلفيها بصورة تلقائية، ويستجيبون أحياناً للاتجاهات التي تمثلها الكتب ويتفاعلون معها، ويهدف المؤسسون للمكتبات كذلك أن يستعين الناس بها في تربيتهم الفكرية ويتوصلوا إلى الأهداف المنشودة، ولذلك السبب أصبح المؤسسون لها غير

متسمين بالحياد التام في اختيار الكتب، حتى إن أولئك الذين يزعمون نشر العلم يعكس اختيارهم للكتب اتجاهاتهم الفكرية إلى حد كبير، فمثلاً تشاهد أن الذين يدعون خدمة العلم والفن يحاولون الاعتماد على العلوم المجردة البحتة ويسمحون للكتب المعارضة للدين ويقفون موقف المعادة من الكتب الدينية والمساعدة في الأغراض الدينية، كذلك نرى المتدينين يقصون الكتب التي لا تنسجم مع الدين، فطلاب المكتبات لا يتأثرون إلا بالاتجاهات التي تنمىها الكتب وتمد لها العون والمساعدة.

الموقف المحايد تجاه المكتبات

ولكن الموقف المحايد تجاه المكتبات قد عم في زمننا هذا وساد، ونظورت المكتبات واتسع نطاقها وخضعت لهذا الاتجاه المحايد إلى حد كبير.

المكتبات الشخصية

ودرج الناس منذ القدم على تأسيس المكتبات الشخصية، إن الذين يحتاجون إلى الكتب كثيراً يدخرونها ويكوّنون منها مكتباتهم الشخصية ويرجعون إليها ويعتمدون عليها، وإن عجزت عن تحقيق رغبتهم في وقت من الأوقات قصدوا المكتبات العامة واستفادوا منها.

أهمية المكتبات العامة

إن هذه المحاولات الفردية الشخصية تتمخض أحياناً عن تأسيس المكتبات الكبيرة، ولكنها لا تصل إلى حدود المكتبات العامة، التي تتمتع بجهود ومساعدات أفراد كثيرين وتتوالاها الحكومة بصفة عامة وتقوم بدعمها ومساعدتها.

وقد يتسع نطاق المكتبات تحت إشراف الحكومات اتساعاً كبيراً، حتى تحتوي على مئات الألوف من الكتب، فيستفيد منها أصحاب الأذواق والطبائع المختلفة على مستوى واحد وتسد حاجة كبيرة من حاجات البلاد والشعب.

يتأثر القاصدون إلى المكتبات وروادها بالتأثير العام للكتب المتوفرة فيها، فإنها تمدهم بالعلوم والآداب والتوجيه الفكري والخلقي.

إدارة المكتبات صناعة

قد أصبحت عملية تأسيس المكتبات وإدارتها صناعة مستقلة، يجري تعليمها في صورة منهجية منظمة، تساعد في عملية إدارتها وتنظيم منافعها وتعميمها، فتتسيق الكتب وفهرستها وأساليب التعرف بالكتب الجديدة النافعة قد أصبحت صناعات مستقلة، وإن تطبيق هذه الأساليب الحديثة الراقية يسبب تسهيلات كبيرة لطلاب المكتبات والمستفيدين منها.

الفهرسة

تسمى هذه الصناعة الصناعة المكتبية، تُعدّ فيها الفهارس وفق حروف الهجاء لأسماء المؤلفين أو الكتب، أو حسب العلوم والفنون، فإذا كان الطالب يعرف شيئاً عن الكتاب أو المؤلف لم يصعب عليه الحصول على الكتاب المنشود، وتعد هذه الفهارس على البطاقات ويفرد لكل كتاب بطاقة.

هيئة العاملين في المكتبات

وتضم المكتبات هيئة من الموظفين والعاملين تقوم بالخدمات العامة وتساعد في الحصول على الكتب وتحديد فنونها وأصنافها، حينئذ يحظى الطلاب بتسهيلات كبيرة في الاستفادة من المكتبة.

المكتبة مدرسة

المكتبة مؤسسة شبيهة بالمدرسة من جوانب عديدة، فالمدرسة يقوم فيها المعلمون بمهمة التعليم والتربية وأما المكتبات فقد تقوم فيها بهذه الخدمة الكتب التي تمثل مؤلفيها، وكان المؤلف يؤدي فريضة المعلم.

ويمكن أن تستغل المكتبات للتربية الاجتماعية استغلالاً صالحاً نافعاً إذا أُديرت إدارة فنية منظمة هادفة ووفق مبادئها وأسسها العلمية الدقيقة.

دور الإقامة الاجتماعية

آثار دور الإقامة الاجتماعية

إن نظام السكن الاجتماعي ودور الإقامة الاجتماعية يحمل أيضاً أهمية كبيرة في العملية التعليمية والتربوية، فمثل هذا النظام يكون جامعاً لشتى الأمور، وإن محاولة مكثفة تؤثر في الوحدة الاجتماعية بكاملها في ان واحد، وتترك عليها آثاراً تماثل الآثار التربوية.

الوحدات السكنية في العصر الحديث

لقد تعرض نظام الوحدات المنزلية في العصر الحديث للفوضى والتشتت وتكونت وحدات جديدة استجابة لمقتضيات الحضارة والمدنية، وحدات متحدة في اللون والمظهر ومختلفة في الطبائع فتجد أن سكان مبنى واحد يجهل بعضهم بمن وراء جداره، فلقد تتكون الوحدات في هذه الأيام على أساس غير أساس الأسرة والقبيلة، بل تتكون على أساس التسهيلات السكنية وعلى أساس الشغل والوظيفة والعمل والاتجاه مثل الاتجاهات السياسية والاتجاهات الدينية ووحدة مثل وحدات الأفكار الأدبية ووحدة الوظائف والاشتغال.

دور الإقامة

وهناك وحدة لا تعتبر وحدة، وهي وحدة المقيمين أو النازلين في مبنى واحد، وتتكون هذه الوحدة تلقائياً، فمثلاً تدفع ضرورة الإقامة بعض الأفراد والأسر إلى أن يقيموا في مبنى أو مكان معين وقد تؤسس المصانع والحكومات والمدارس والجامعات وحدات سكنية لرفع حوائج أفرادها السكنية، وتنشأ حينئذ

مجتمعات جديدة ويمكن أن تستغل هذه الوحدة ثم تجرب عليها عملية التعليم والتربية.

الوسائل التربوية في الوحدات السكنية.

يراعي المؤسسون لهذه الوحدات السكنية أن يصوغوا سكانها في اتجاه فكري ويقوموا بتربية عقولهم وأفكارهم بحكمة ولين وتسفر جهودهم عن الثمار المرجوة، ويسهل ذلك على المؤسسين لها، لأن سكانها مضطرون إلى الالتزام بنظامهم.

ولكن الوحدات السكنية لا تختص بطبقة خاصة، بل إنها تؤسس لتوفير التسهيلات السكنية من وجهة النظر التجارية، فلا يمكن أن تفرض فيها تلك القيود التي تفرض في الوحدات السكنية الخاضعة لنظام من النظم، إلا أن أصحاب هذه الوحدات السكنية يستطيعون أن ينجحوا في إلزام نظام يقوم بالتربية الفكرية اعتماداً على مكانتهم.

خطة صالحة

ونظراً إلى تأثير هذه الوسيلة دعا عالم مسلم وزعيم ديني كبير^(١) إلى أن تؤسس دور الإقامة والوحدات السكنية في الأمكنة المختلفة والمدن الكبيرة لتربية المسلمين وإصلاحهم، وينظم فيها برنامج نافع ملائم يوافق طبائعهم وأوضاعهم النفسية وبما أن توفير التسهيلات السكنية في هذا الزمان أصبحت مطلوبة فإنهم لا يشعرون بأي كلمة في صياغة نفوسهم في نظام تربوي.

الوحدة السكنية شبيهة بمدرسة

فالوحدات السكنية نظراً إلى مكانها ودورها التربوي الهام شبيهة بالمدرسة، بل وتملك أثاراً تربوية أكثر منها نفعاً ونفوداً، لأن الطالب يقضي في المدرسة خمس ساعات من اليوم ويقضي بقية يومه في دار الإقامة، وبذلك يُقاسُ ويُقدَّر ما بينهما من تأثير ونفع في الحياة الاجتماعية.

(١) هو الشيخ مولانا عبدالباري الندوي رحمه الله أستاذ الفلسفة السابق في الجامعة العثمانية بحيدرآباد.

الحاجة إلى الاهتمام والحكمة

ولكن الاستفادة من نظام الوحدات السكنية لا تتم إلا بإعارة الاهتمام وبذل العناية والحكمة واللين، وإن فقد الاهتمام والاعتناء فإنه لا يمكن أن ينفع نظام تربوي من المدرسة أو دار الإقامة، وإن دور الإقامة والوحدات السكنية من بلداننا الشرقية تعاني من هذا الإهمال والإغفال، ولكن النظم الغربية تستفيد منها استفادة تامة وفق أفكارها وأهدافها، وتمثلها في الشرق المدارس المسيحية في بلادنا التي يلتزم فيها الطلاب بالنظم والبرامج المدرسية التزاماً دقيقاً، ويصهرون في بوتقتها انصهاراً تاماً.

نظام الرحلة الجماعية ودعوة الشيخ محمد إلياس رحمه الله وهناك نظام يشبه دور الإقامة نفعاً وتأثيراً، وهو نظام الرحلة الجماعية، انتهجه حركة الدعوة والتبليغ كعنصر هام من برامجها، يجمع أصحابها المسلمين في المسجد ثم يسدون إليهم النصح الديني في أسلوب مؤثر ساحر ويحملونهم على أن يتنظموا في سلوكهم ويشاركوهم في رحلتهم الدعوية الجماعية، فيكوّنون منهم وحدة جماعية سيارة، يقومون بتربيتهم وتعليمهم، ويكوّنون لهم بيئة اجتماعية خاصة، فيوجهون أفكارهم وميولهم توجيهاً معيناً، وعلى هذا الدرب والمنهج يتم في البلدان المختلفة إصلاح المئات والألوف من المسلمين.

فكرة الدكتور ذاكر حسين

لما شاهد المرحوم رئيس الجمهورية الهندية الأسبق الدكتور ذاكر حسين وهو أحد خبراء التعليم في الهند، نشاطات حركة الدعوة والتبليغ عن كتب قال: إن هذا منهج بديع ونافع في التعليم والتربية، لم يفتن له الخبراء والأخصائيون في مجال التعليم والتربية، وأشاد بهذا المنهج للتربية الاجتماعية ونوّه بشأنه، وشارك كذلك في هذا التحرك الديني وبرامجه في الحلّ والترحال، وهو منهج بديع يتمخض عن نتائج نافعة غريبة لا في الهند وحدها، بل في البلدان المختلفة من العالم.

فالنظام الاجتماعي للسكن والإقامة مهما كانت صورته فهو من أهم وسائل التربية الاجتماعية، والذين يعرفون أهمية هذا النظام يستغلونه استغلالاً يضمن لهم النجاح والنفع في برامجهم التعليمية والتربوية.

المعتقلات

ويمكن كذلك أن تجرب عملية التربية الاجتماعية في المعتقلات والسجون، بل إنها في أشد الحاجة إلى حركة الإصلاح والتربية حتى يتوصل بها إلى إصلاح سيرة المعتقلين وسلوكهم وتصرفاتهم المجرمة وطبائهم الجامحة، ويتطلب ذلك أن تقدم إليهم الدعوة في أسلوب جميل خلاب وأن ينشأ فيهم الشعور بالنصح والإخلاص والمساعدة، فإن الإنسان لا يستمع إلى أحد ولا يصغي إليه بأذنيه إلا إذا تنسم فيه روح النصح والإخلاص.

وإن سيرة يوسف عليه السلام في السجن تقدم إلينا خير أسوة في هذا المجال، ولهذه الطريقة أمثلة ونماذج كبيرة في تاريخ الرّبانيين والمسلمين.

وفي البلاد الديمقراطية يُعنى المهتمون بالسجون بتوفير الكتب وإجراء اللقاءات في المعتقلات، والحكومات تساعد في ذلك، وقد تسفر هذه المحاولات عن نتائج مشجعة.

وعلى كل حال فإن بذل محاولة الإصلاح بأسلوب جميل وملائم مع مراعاة الأوضاع والمشاكل النفسية والاجتماعية يبعث على أمل كبير في الوصول إلى إصلاح النفوس وتوجيه الطبائع توجيهاً سليماً.

مسابقات الألعاب الرياضية

نشاطات الألعاب الرياضية أيضاً من وسائل التأثير التربوي للجماهير وأعظم تأثيرها يكون في الشباب وتأتي مرحلة الشيوخ بعدهم، فإنها بما فيها من متعة للنفس تستجذب الهوى وتستميل النفوس ويُقبل عليها الناس في أوقات فراغهم، بل وقد تستولي في بعض الحالات على أوقاتهم الجادة أيضاً فتقطع من أوقات الناس جانباً كان ينبغيهم فيما يحوجهم لكسب أغراضهم ومطالبهم الجادة في الحياة.

وهي لا تصرف الممارسين لها وحدهم عن أعمالهم بل وتصرف كثيراً من الناس الآخرين أيضاً ممن يبدلون جانباً من أوقاتهم لمشاهدتها أو السماع للتعليق الإذاعي المسلسل لها، وبذلك تصبغ الأعمال في المصالح والمكاتب شبه معطلة وتصاب الإجراءات الإدارية في الإدارات ببطء ويخلل لأن الأذان تنصرف إلى الترانسستورات، ويتقطع بذلك اهتمام كثير من الموظفين والكتابيين عن أعمالهم، والمتعة في مشاهدة الألعاب أو الاستماع لإذاعتها، إنما تؤثر في التصورات والتمويل والعقليات كثيراً، وإنها تجعل طبيعة أصحابها منصرفة عن الشغف بما يجدي وينفع إلى ما يلهي ويلذ، وبذلك تنشأ الأجيال على حب اللهو واللذة، وقضاء الوقت الثمين فيهما، وذلك بدون شك يكون على حساب الصرامة والجد والعمل، وتنشأ الأمة بذلك على الترهل والضياع، ثم إن لأنواع الألعاب أنواعاً من التأثير يبلغ بعضها إلى خطورة الهدم للأخلاق الكريمة والخصائل الحميدة.

فإذا كان لعب كرة القدم أو الكريكت يضيع جانباً من وقت طائفة من الجماهير ووقت الشباب بأكمله ويملاً أذهانهم بعقلية طفولية تافهة بحيث يعدون

انتصار فريق من الفريقين على الآخر كانتصار أمة على عدوها في ميدان القتال ويفدي بعضهم بروحه وحياته لاعباً يحبه ويتمنى سبقه في المسابقة، ثم تقام مهرجانات عظيمة لفوز فريق على مقابله، كأن بلداً فتح وشعباً انتصر، مع أنه لم يحصل شيء كبير مما ينفع أمة أو بلداً ولم يُحقَّق شيء كان البلد أو الشعب في حاجة إليه، فإذا كانت ألعاب كرة القدم والكريكت والهوكي تفعل كل هذه فإن لعب الملاكمة أو المصارعة اليابانية يأتي بهول أكبر منها فهي تملأ نفوس المشاهدين بروح الوحشية والهمجية، لأن اللاعب يمارس في لعبه هذا الاعتداء والجرح ويكون المنظر مهولاً وهو بممارسته ذلك يتعود على رؤية الأذى بدون شعور الرحمة والأسى، وهو عندما يتعود على رؤية الأذى والعذاب لإنسان آخر غير نفسه تنشأ فيه نفسية القسوة والهمجية وتزول عنه نفسية المواساة والرفقة الإنسانية التي هي ميزة كل إنسان على غيره من المخلوقات البهيمية.

أما المشاهدون فهم بتكرار رؤيتهم لمظاهر الاعتداء والإيلام وسيل الدماء من الوجوه والأعضاء يتعودون على هذه المناظر المثيرة للأسى والأسف، فلا يشمئزون ولا يأسفون فتصبح عواطفهم جامدة ميتة ولا يتحرك فيهم ساكن لو جرح غيرهم أو سفك دمه ولا ينبعث في نفوسهم أسى أو أسف إذا رأوا واحداً يتأوه أو يتألم، فيكون مثلهم في ذلك مثل وحش أو همجي يقوم بالظلم ويراه فلا يبالي ولا تتحرك فيه رحمته.

إنه تقليد أو محاكاة للبهيمة والحيوانات الوحشية، وجاء ذلك من الشعوب الغربية وهي تقوم بهذه الألعاب منذ قدمها، فقد كانت في تاريخها القديم تبني مدرجات في مدنها وحواضرها لمثل هذه الألعاب فكان الإنسان يكلف بمبارزة حيوان شرس في ساحة المدرج فكان يدخل في معركة الموت والحياء، ولماذا كل هذا؟! إنه لمجرد أن يتمتع المشاهدون بمناظر الجرح والإيلام لخصمين غير متساويين في القيمة والكرامة، الإنسان والبهيمة. والملاكمة أو المصارعة اليابانية وليدتان لتلك المصارعة الوحشية الدموية التي كانت تقام بكثرة لدى الشعوب الأوربية القديمة، وهي ألعاب لا تنمي في المشاهدين لها إلا الاحتمال والرضا

بإيلاهم غيرهم وتعذيبه، وبذلك تتجمد عاطفة الرحمة والأسى فيهم ولا تربيهم إلا على النفسية الهمجية الوحشية التي خلق الله الإنسان ليكون أبعد مكاناً منها.

إذا كانت الألعاب العامة تنمي في الممارسين والمشاهدين لها بوجه عام طبيعة البطالة والانصراف عن الجهد، فإن الألعاب الوحشية تدرّب المشاهدين على القسوة والغلظة وعلى طبيعة الظلم والاعتداء، فالألعاب بذلك تقوم مقام وسيلة تربية سيئة للناس، فإنما يجب النظر إليها من هذه الناحية كذلك حتى يمكن إصلاحها وتسخيرها لمصالح الإنسان وتحقيق خيره وراحته، ولا يحسن التغافل في شأنها فإنها بسبب التغافل عنها تصبح سبباً من أسباب الإفساد وهدم معنويات الأمة والبلاد، وإنه يمكن إصلاح أمرها وإزالة ضررها وذلك بالتخطيط الجاد والتنظيم العاقل، فقد كانت في العهد الإسلامي الأول ألعاب رياضية، وقد سمح بها الرسول ﷺ وأمر بها القادة الراشدون، ولكنها كانت ألعاباً تنمي في الأجسام قواها وطاقتها المفيدة وتدرّب على القوة والجهد والعمل وتكون ذريعة لإعداد الأمة على القوة والشهامة والشرف.

فقد رأى رسول الله ﷺ لعب الحبشة بجرابها في المسجد النبوي الشريف وأراه زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأمر بتعلم الرماية وقال: «إن أباكم كان رامياً».

فلا بأس إذن في الألعاب فإنها دون شك تنمي في الجسم طاقات وتدرّب على الجهاد والاجتهاد، ولا بأس في أن نطلب منها ترويح النفس وإمتاع الذهن، ولكن يجب أن يُقرّر لكل ذلك مقداره ويُخطّط له تخطيطاً يمنع هذا النظام من خروجه من النفع إلى الضرر، ومن تنمية القوى الفاضلة إلى إضاعة الطاقات المفيدة، ومن المحافظة على الأخلاق والعواطف الكريمة إلى التربية على نفسية الغلظة والظلم أو تبديد الطاقات في غير سدى.

الأعياد والمواسم

وللأعياد تأثير كبير على عامة أبناء الشعب وبخاصة على الناشئة، فإن نفوسهم تتلقى التأثير على الذهن من مظاهر هذه الأعياد وتقاليدها تلقياً خفياً، وتتسرب معانيها ومفاهيمها في هذه النفوس بحيث لا يشعر، وذلك لأن الكثرة لها تأثير في النفس ما ليس للقلة، والكثرة هي التي تمنح الأعياد تأثيراً حيث إن جموعاً محتشدة أو طائفة كبيرة من الناس تظهر في مظهر واحد أو متقارب وتقوم بمظاهرة واحدة أو متقاربة فتوحى هذه المظاهرة إلى كل نفس صور القوة والعظمة، والإنسان ولوع بالقوة والعظمة، يقدرهما كل التقدير وينجذب إليهما كل الانجذاب، وإلى هذا يشير قول سيدنا موسى عليه السلام شاكياً قومه أمام ربه: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ وإلى هذا يشير الحادث الذي ذكره كتاب الله عن قارون: ﴿فَلَمَّا خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وإلى هذا يشير قول بني إسرائيل لما رأوا كثرة من الناس يعكفون على صنم لهم: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ...﴾.

فقد اتسمت كل الأحداث المذكورة هذه في القرآن بالقوة والعظمة التي جاءت بوجه عام من مظاهرات الكثرة، فإن الإنسان ينخدع إذا رأى كثرة تقوم بعمل فيظن أنه عمل حسن وعظيم لأن الكثرة لا يمكن أن تقوم به إذا كان عملاً هيناً تافهاً.

ويتجلى ذلك بكل وضوح في الأعياد إذ يخرج الناس جماعات وفرادى على

وضع واحد أو متشابه ويتظاهرون بصورة واحدة أو متشابهة، فكل من يرى ذلك يتأثر به ويتخلق به راضية به نفسه.

ولقد روعي في الإسلام هذا التأثير فأمر رسول الله ﷺ المسلمين في عيدتهم الفطر والأضحى بالقيام بمظاهرتهم الإسلامية وهو أمره بأن يلبس المسلمون لباساً حسناً وأن يخرجوا جماعات وأن يذهبوا إلى المصلى من طريق ويرجعوا من طريق آخر، لتظهر شوكتهم الإسلامية في أوسع نطاق، ويأن يكبروا ويهللوا لتظهر به عظمة الدين ومهابته في القلوب، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بتكثير سواد المسلمين ليكون في قلوب الناس تأثير للمسلمين. ويظهر ذلك في التشريع للمسلمين بالاجتماع في مصلى الجمعة لصلاة الجمعة ليظهر سواد المسلمين وشوكة عبادتهم وصلاتهم مرة على الأقل في كل أسبوع، ويزيد ذلك تأثيراً قيام الإمام بوعظ المجتمعين ونصيحتهم وإرشادهم بخطبته، ويتجلى ذلك كله في موسم الحج، ولعل الحج شرع في موسم معين لهذا الغرض ونجد في كل الأمم والشعوب ظاهرة الأعياد، وهذه المظاهرة تمسك الجماهير وتجمعها على عوائد معينة وتقاليد خاصة وتجعلهم متصفيين بصيغة واحدة، وتوحي في أذهانهم تصورات معينة تذوب أمامها تصورات الأقليات التي تعيش بين الأكثريات وتنهزم أمامها العوائد والتقاليد المختلفة أو المخالفة.

فإن عيد ميلاد المسيح عند المسيحيين إذا نظرنا إلى تأثيره لوجدناه العامل الأكبر لإبقاء المسيحيين على عقائدهم وتصوراتهم المسيحية، وإلا لكان الغرب المسيحي قد خرج من تصورات المسيحية خروجاً تاماً ولم يكن لكثرتهم الكاثرة أي معرفة للمسيحية بعد أن انقطعت صلتهم بكنائسهم وقسمهم، وذلك بتأثير المادية الملحدة الرعناء التي قد غرقوا فيها وانصرفوا عن كل شيء يخالفها ويعارضها، ثم لم يروا مبرراً لبقاء كنائسهم، ولتقديرهم أنفسهم في الحياة المادية الملحدة السائدة في بلادهم.

وهذا هو الذي نراه ونشده في أقطار المشركين مثل الهند وغيرها، فإن

تمسك جماهيرها المشركة بأديانها إنما يرجع إلى أعيادهم التي يخرجون فيها بالآبئة الظاهرة من كثرتهم، وبالزينة التي توحى إلى تصوراتهم الدينية والقومية فيتأثر بها جمهور المشتركين فيها، وهو الذي يحفظ تصوراتهم الدينية ويمنعهم من الخروج منها أو من نسيانها. فإن دين المشركين ليس باقياً إلا بتأثير هذه المظاهرات الثقافية التي يقومون بها في أعيادهم، فلو لم تكن لهم هذه الأعياد لما كان لهم عاصم من ابتعادهم عن دياناتهم وغفلتهم عنها، لأن المبررات الأخرى لبقاءهم على دياناتهم لا تبلغ إلى حد لائق كبير.

وأخطر شيء في أعياد المشركين هذه أنها تؤثر على الأقليات كذلك، فإنها تتأثر تلقائياً من صور تقاليد المشركين وتنصبغ في بعض أنحاء حياتها بصبغتهم. وأكبر سبب من أسباب التأثير في الأعياد أنها تأخذ الطابع الثقافي وتظهر في مظهرها، وذلك لأن لمظاهر الثقافة سحراً قلماً يكون لغيرها فإنها تأخذ بمجامع القلوب وتسحر النفوس، والأعياد تظهر في مظاهرها وتنصبغ بصبغتها.

فلا بد أن يعرف رجال التوجيه والتربية خطورة الأعياد وتأثيرها في مجال التربية والإعلام ويعرفوا مصادر الإضلال أو الإصلاح في التجمعات القومية والأعياد الدينية فإنه جدير بها أن تُعدَّ أجدى وسائل التربية والإعلام وتؤخذ أو ترد على هذا الأساس.

وَافْتِاحُ الاسْتِعَانَةِ بِوَسَائِلِ التَّرْبِيَةِ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمِ

إذا ألقينا النظر على واقع الشعوب والأمم لوجدنا أن الشعوب المتقدمة الغربية قد استخدمت وسائل التربية استخداماً كاملاً ومبنيّاً على هدف معين، لقد درس كل واحد من الشعوب وضع جماهيره وبلاده ثم نظمت التربية تنظيماً عاقلاً متلائماً مع هذا الوضع موافقاً لهدفه الذي قرره للحياة.

ولما كانت الشعوب الغربية قد خلعت أنفسها من السيطرة الدينية واختارت طريق الحياة المادية الحرة، وعلى فكرة قومية وطنية، فقد اتخذت من نظم التربية ما يتلاءم مع هذه الفكرة وطبقت هذه النظم بدقة وحكمة، فاستطاعت أن تبني إنساناً وفاقاً لوطنه وشعبه متعاوناً بعضه مع بعض في بناء قومه وبلاده على آماله وأحلامه، واستخدمت في ذلك كل الوسائل الحاصلة له ومنحت أبناءها على ذلك الحرية الكاملة والراحة المادية في حياتهم الفردية وسهّلت لهم سبل التقدم والرقي المادي.

إن واقع هذه الدول الغربية في أوربا موزع على أساس السلالات واللغات وقد اتخذتها أساس قومياتها، ولكن النظرة إلى الحياة في جميع هذه الدول واحدة فهي تبني مدينتها على هذه الفكرة الواحدة وتتعاون فيما بينها على أساسها، مع أنها تتفرق في سلالاتها وتطلب الشرف والعزة على أساسها، لقد نجحت هذه الشعوب الغربية في آمالها والوصول إلى هدفها، بتنفيذ نظم التربية تنفيذاً كاملاً متلائماً مع أهدافها حتى أصبحت دولاً قوية متقدمة غالبية على العالم مع مشاحنات ومفارقات سلبية ولغوية قد تسوق إلى عداوات سافرة فيما بينها ربما أوقعتها في حروب هائلة، ولكنها تتضامن في القضايا المشتركة من الحياة. لقد

بلغ من قوة هذه الشعوب الغربية أنها حكمت الشعوب الشرقية حكماً مباشراً ولا تزال تحكمها الآن عقلياً ومدنياً، وليس كل ذلك إلا لأنها استغلت وسائل التربية كل الاستغلال بينما تهافتت فيها الشعوب الأخرى ولا تزال متهاونة، وإذا كان بعض هذه الشعوب المختلفة يستغل وسائل التربية استغلالاً فعلى غير الأساس المتلائم مع طبيعة الأمة وأهدافها وفكرتها في الحياة، لذلك لا تأتي هذه التربية إلا بخلاف ما تتوخاه أمة وأهدافها.

شدة اهتمام الشعوب المتقدمة بوسائل التربية

لقد بلغت الاستفادة في الشعوب المتقدمة بوسائل التربية رقماً قياسياً في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، فلقد بلغت الدولتان في التقدم مبلغاً عظيماً، لقد تكونت الولايات المتحدة من طائفة من سلالات أوروبية فمن أجزاء شعبها الإنجليز والفرنسيين والألمان والاطليان والإسبان، وكل سلالة منها متعصبة لعنصريتها بحيث إن حروباً كبيرة قامت بينها في أوروبا على أساسها، فما كان مستحيلاً أن يؤثر هذا التفرق العنصري على قضية توحيدها في وطنية واحدة في أميركا، ولكن النظام التربوي الذي وضعته الدولة وطبقته نجح في صياغة هذه الوحدات السلالية في قومية واحدة وهي قومية الولايات المتحدة هو العامل الأساسي في ذلك، فما يشعر الأميركي من الولايات المتحدة اليوم إلا أنه جزء من وطن الولايات، وهو يفتخر بهذه الوطنية ويعمل للوطن متكاتفاً مع أميركي آخر مهما كانت سلالته وجنسيته السابقة في بناء عزة شعبه الأميركي وشرفه وسيادته، حتى في اللغة فإنه يتكلم باللهجة الأميركية الخاصة تاركاً اللهجة الإنكليزية البريطانية الأصيلة، ويشارك في الحصول على المنجزات العلمية والميكانيكية التي أصبحت تمتاز بها الولايات المتحدة الأميركية بين دول العالم.

أما شعب اليابان فقد كان شعباً مختلفاً عاجزاً في الماضي ولكنه بنى نظام تربيته على أتم وأقوى الأسس وأحدث طرق بالملاءمة مع حاجة الشعب والبلد في مجالات القوة والمدنية والرفاهية، ثم طبق هذا النظام التربوي بحيث استطاع به

تنشئة الرجل الياباني فرداً قوياً الإرادة منصرفاً إلى الجهد والاجتهاد مخلصاً للوطن طالباً لعزته وشرفه، فهو لا يضيع وقته ولا يخون أمته ولا يتهاون في بناء الرفاهية والشرف لوطنه.

قلة الاهتمام عند الشعوب الشرقية بالتربية وشدة حاجتها إليها

إن الوضع التربوي لشعوب الأمة الإسلامية في أقطارها المختلفة يتسم بالفوضى وعدم التخطيط، فإنه ليس هادفاً بل هو قلق مضطرب، يمكن أن يضرب له مثلاً بالحشائش الشيطانية التي تنبت في الساحة فلا يكون فيها انسجام أو نظام على عكس العشب الذي ينال من الزارع العناية والتخطيط.

فالطفل في الشرق وفي شعوبه الإسلامية يرى أول ما يرى والديه، فهو يجدهما ضعيفين في الالتزام بخطة أو نظام معين للسلوك والسيرة منطبعين بأحوال منوعة بتأثير المؤثرات المادية والغزو الثقافي الغربي، فهما يستقبلان المستجدات الوافدة إليهما عن طريق الصحافة والإذاعة والزيارات لبيئات مختلفة أجنبية، وهي تؤثر على دينهما وأصالتها الثقافية فيترسم على عقلية الطفل البسيط أثر من كل ذلك بسبب المحاكاة التي ينطبع بها الطفل متأثراً بوالديه.

ثم يرى الطفل في منزله ويسمع الإذاعة المرئية والمسموعة فيلتقط ذهنه مفارقات خلقية وفكرية، ويصطبغ بها اصطباعاً، ويكون ذلك في مرحلة نشأته الأولى، ومنها تتكون النواة الأولى لميوله وتصورات، ثم يتعرع ويزداد فهماً، فلا يرى حوله أيضاً إلا ما يشابه هذا الواقع من بيئة متأثرة بالمؤثرات الوافدة والمحلية المنحرفة عن جادة الأصالة. ثم يدخل في المدرسة فلا يجد فيها إلا حالاً شبيهاً بما وجدته قبلها، فينشأ رجلاً مذبذباً بين القيم الإسلامية وعقائدها وبين القيم المخالفة لسلوكه الإسلامي.

وقد بلغ بنا الحال أننا أصبحنا لا نجد الرجل المسلم اليوم في بيئته المنزلية ولا محافله الوطنية ولا في مجالاته السياسية ولا في دوائره الحكومية إلا شخصية ممتزجة من مختلف الميول والاتجاهات، ولا تؤثر هذه الشخصية على الجيل

الناشئ إلا تأثيراً مخالفاً للأصالة الناشئة عن قيمه وعقائده، بل تجعله ينشأ على المفارقات في الثقافة والإيمان والاتجاهات من الاعتراف بأثر الإسلام والمسلمين والإعجاب بالمستجدات الفكرية والثقافية الوافدة كذلك.

والسبب في كل ذلك راجع إلى إهمالنا في تخطيط العمل التربوي والعناية بالتربية السليمة الهادفة في أوساط المسلمين.

إن أوّل شيء في هذا المجال إذا أردنا تربية أفراد مجتمعنا تربيةً سليمة هادفة هو أن نُنشئ فينا شعوراً صادقاً للواقع المرير للحالة التربوية للمجتمعات الإسلامية، ثم بضرورة بذل المستطاع لتدارك ما فسد في هذا المجال، فإن كل فرد من أفراد المجتمع يستطيع أن يلعب دوره، وقد أعطانا الرسول الأعظم ﷺ نقطة الانطلاق في ذلك، بقوله التوجيهي العظيم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... الخ».

ولو التزم كل فرد مسلم بمعنى هذا الحديث الشريف وجعله مبدأً لتنفيذه للعمل لجنى ثمراته بحصول الحالة الصالحة في بيته وفي مجتمعه، إنه يجب في الحياة المنزلية أن يشعر الوالدان أن ولدهما يراهما كأسوة للأخلاق والسلوك، فعليهما إذا أحبّ أن ينشأ ولدهما على الأخلاق السليمة والسلوك المستقيم أن يتجرّد حالهما عن مظاهر الأخلاق والسلوك المنحرفة وإن كان ذلك تكلفاً وتصنعاً، ليسا يبذلان جهدهما ومالهما في سبيل تعليم ولدهما فلماذا لا يتكلفان لتعليمه في الطفولة ما يحسن له من الأخلاق لتسديد حياته. وعليهما أن يصدّوا الغزو الفكري والثقافي المنتصبّ عليه عن طريق الإذاعة والصحافة. وعندما يصل طفلهما إلى عمر القراءة فعليهما أن يبدأ تعليمه ألفاظ القرآن الكريم ومعاني الدين البسيطة الأساسية حتى يصلح ويتأصل أساس عقليته وتصوّراته نحو كيانه الاجتماعي والفكري والديني، وبعد ذلك يسلمانه إلى المدرسة

وعلى القائمين بشؤون المدرسة أن يعرفوا أن المدرسة مصنع للرجال، فكما أن مصنع الحديد، يمكن عن طريقه أن تصوغ ماعوناً للبيت يرتاح به مستعمله في

حاجته، أو تصوغ سكيناً ليقطع به ما يقطعه، وكذلك تصنع المدرسة رجالاً لمختلف الحاجات وعلى مختلف الخصائص والاتجاهات.

وفي المجتمع العام تقع مسؤولية التربية الصحيحة على القائمين بالإدارات العامة والحكم، فإنه يجب عليهم أن يخططوا تخطيطاً يتلاءم مع قيم الأمة الدينية والسلوكية والثقافية، ففي المجال التعليمي تأتي قضية المناهج والمقررات واختيار المدرسين الأكفاء علمياً وفكرياً وخلقياً. وفي المجال الثقافي تخطط برامج الإذاعة ومواد الصحافة والثقافة لتكوين الحالة التي تتلاءم مع آمال الأمة وحاجاتها.

ويمكن في مجال التخطيط والتطوير الاستفادة من الأمم المتقدمة الراقية أيضاً فإن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

ليس سهلاً أن نرى كيف يخطط الأميركيان لصوغ المواطن أميركياً في عقلية وتصوّراته؟ وكيف يخطط الإنجليز لصوغ مواطنهم بريطانياً بل إنجليزياً؟ وهكذا الفرنسيون والروس والصينيون واليابانيون كل منهم يصوغ مواطنه في قالبه الوطني القومي للعقلية والتصورات والميول والاتجاهات، فكيف نحن لا نستطيع ذلك؟ إنما هو إهمال وتكاسل منا، بل انحلال فكري مؤسف.

نحن نربي أبناءنا في قوالب مختلفة، فينشؤون في صورة من العقلية والأخلاق والاتجاهات ليست شرقية ولا غربية لا هي إسلامية ولا إحدانية، ولا هي إيمانية ولا هي مادية، هي شيء من كل ذلك، وليست كاملة في أي واحدة من ذلك، وذلك لأن كل واحد منا يلقي المسؤولية على غيره، ويرى نفسه منها بريئاً، فلا يرى سيد العائلة أنه مسؤول عن عائلته، فلا الوالد يرى عليه مسؤولية نحو تربية عياله، ولا الأم ترى نفسها مسؤولة عن تربية أولادها، ولا مسؤولو المدارس يرون أنفسهم مسؤولين عن بناء الجيل الناشئ بناءً صحيحاً هادفاً، ولا مسؤولو الإدارات ومؤسسات الإعلام يرون من مسؤوليتهم بناء مجتمع في أصالة واستقامة وهدف. فكيف تستقيم الأحوال وتصح مسارات الأمة؟!؟

فإذا كانت الشعوب الغربية والشعب الياباني الشرقي قد أحرزت التقدم والقوة والرفاهية بتنظيم وسائل التربية وتجنيدھا للهدف المطلوب فكيف لا تستطيع الشعوب الشرقية الإسلامية أن تصل إلى تنظيم حياتھا وتنمية ملكات أبنائها وتربية عقولھم وصياغتها صياغة تليق بمكانتها التاريخية العظيمة وبماضيھا القوي الإنساني الشريف.

المهم في كل ذلك هو أن يفهم الذين يملكون أزمة البلاد طبيعة هذه الشعوب الإسلامية وفكرتها وهدفھا في الحياة، وماضيھا المجيد، ثم يضعوا نظاماً تربوياً يتفق مع كل هذا، ويبنى الفرد والجماعة على أساسه، ثم ينفذوا هذا النظام تنفيذاً شاملاً دقيقاً وبإخلاص وحكمة، فإنهم إن فعلوا ذلك فستكون شعوبهم بعد ردة من الزمن لا راقية فحسب بل قائمة زعيمة هادية للعالم كما سبق لها في الماضي، وليس ذلك على الله بعزيز.

ومن الله التوفيق وبنعمته تتم الصالحات وصلى الله على آخر أنبيائه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجتمع الإسلامي وأثر التعليم في بناءه

التعليم وفق حاجات المجتمع :

إن أعظم ما يفتقر اليه مجتمع إنسانى وفي مقدمته المجتمع الاسلامى لبناء نفسه وتكوين شخصيته، هو تهيئة اسباب التعليم و وسائل التربية ، وهو لا يجدى كثيراً إلا بوضع نظام تعليمى يوافق حاجاته و ينسجم مع ضروراته ، ومع قيمه وخصائصه الأصلية وبيذل المساعى المخلصة وبصورة متواصلة لتطبيق هذا النظام ، لأن المجتمع لا يتكون إلا من العقلية والخصائص التى يأتى بها نظامه التربوى إليه فانه اذا لم يهتم في نظام انسانى بغرس الأفكار المجدية و لم يهتم بتربية الأفراد على شاكلة معينة ، صارت خصائصه وأخلاقه في فوضى مثلما تكون حشائش شيطانية في أرض زراعية، ويفقد المجتمع الاتزان والاعتدال ، أو تولاه نظام تربوى آخر ، وان حدث ذلك صار المجتمع تحت تأثير نظام مغاير أو أجنبى عنه في خصائصه وقيمه ، وتولى ذلك النظام تكوين شخصيته ، وتولى تكوينها على قيم وأغراض تختلف عن مثله الأصلية وخصائصه التى لا يناسبه سواها ، وحينئذ يضطر عقلاء هذا المجتمع إلى بذل جهد جهيد ، ويلجأ المخلصون من هذا المجتمع لإصلاح الفساد الآتى من الانحراف إلى عقل طويل ، وسعى شديد وحكمة خاصة .

إنه واجب كل فرد من أفراد المجتمع :

وإنه يجب في عملية بناء مجتمع صالح أن يساهم فيه جميع أعضاء المجتمع وأن يبذل كل واحد ما يسعه من عنايته ، وذلك بأن يختار أنباؤه على مختلف المستويات طرقًا وأساليب تتيسر لهم حسب امكانياتهم لاصلاح الفاسد ، وتقويم العوج ، وقد جاء في الحديث النبوى الشريف : " كلكم راع ومستول عن رعيته " ولذلك تقع مسئولية الإصلاح وتحسين الأوضاع على كل فرد من أفراد المجتمع ، فالوالدان مسئولان عن أولادهما والكبير مسئول عن الصغير ، والحاكم مسئول عن محكوميه ، وكذلك كل واحد مسئول عن من يتبعه ويدخل تحت تأثيره ، هو مسئول بالاهتمام ببناء هذا التابع ، فالقيام بتعليم أفراد الأمة الإسلامية ، وبناء شخصيتهم مسئولية مشتركة ، يجب أن يضطلع بأعبائها جميع المسلمين ، وعندما يؤدي كل فرد من أفراد المجتمع مسئوليته يكون أداء الواجب خير الأداء واتمه .

طبيعة المجتمع المسلم :

والمجتمع المسلم حيثما يوجد في العالم يحمل قيما وأهدافًا أساسية ، مشتركة ومتشابهة ، لا يختلف في ذلك بلد عن بلد آخر وشعب إسلامي عن شعب إسلامي آخر ، وفي أساسيات الأمة الإسلامية هذه انما تندرج فيها العقائد الدينية والأخلاق التى قررتها شريعة الإسلام والآداب التى توارثها المسلمون من عهدهم الأول .

أما الجوانب الأخرى للحياة مما لم يفرض الإسلام فيها حكمًا ولم يحددها تحديدًا فقد تركها على فهم المسلمين وعلى مقتضيات ظروفهم وأحوالهم ، وهى تختلف باختلاف البلدان ، فيجوز في هذه الجوانب العمل

حسب الأوضاع والظروف في بلدانهم المختلفة ، ويجوز للمسلمين تنسيق حياتهم وتحسينها وتحسينها حسب مقتضياتهم الخاصة ورعايتها في بناء المجتمع.

أساسيات المجتمع المسلم :

وفي أساسيات حياة المجتمع المسلم أولاً هو التقيّد بتوحيد الإله ، وهو الاعتقاد بأن لا إله إلا الله وحده ، ولا مكان للاشراك بالله في حياة المجتمع المسلم في أى حال من الأحوال ، و المسلم متقيّد بالشرعة التي أتى بها رسوله ﷺ ، ولا يسعه مخالفة ما فيها من تعاليم وأحكام ، ونبيه خاتم الأنبياء وشرعته أتمّ شريعة وأكملها فلا يجوز لأحد كان من كان ، أى تعديل في هذه الشريعة ، ومن أساسيات عقيدة المسلم ان هناك حياة ابدية خالدة بعد هذه الحياة الدنيوية التي تنتهى يوماً من الأيام ، وكل واحد يؤجر ويُناب على حسناته كما يعاقب فيها على سيئاته ، ويجب الاعتقاد بهذه العقيدة الأساسية، وهي توجب على كل معتقد بها اجتناب السيئات والابتعاد عن ما فيه مخالفة لأوامر ربه تعالى ونبيه ﷺ و عن ما فيه فساد للقيم الانسانية والأخلاق الفاضلة .

الفرعيات :

وما عدا أساسيات الإسلام فهي جوانب عديدة للحياة وكُل أمرها إلى فهم المسلم يسمح له فيها بالعمل وفق ظروفه وأوضاعه وضرورات حياته، وأما الأمور التي أوجبها الشريعة الإسلامية فقد أوجبتها بمراعاة الطاقات الإنسانية ومصالح الانسان المسلم وظروفه ، ولا يصعب تطبيقها ، ولا تأتي بضرر للإنسان في متطلبات حياته الأساسية ، أما الأمور التي خيّر فيها المسلم

فهي كثيرة وعامة ويجوز له فيها ان يعمل وفق ظروفه الخاصة ، ومقتضيات بلده وشعبه ، وبهذه الحرية يستطيع المسلمون ان يعيشوا في مجتمعات العالم جميعاً، حسب أحوالها ومتطلباتها ولا يضطرون إلى أن يعيشوا فيها حياة منفصلة ومختلفة ومخالفة لبيئتهم تلك في أى مكان كانوا ، ولكنه يجب عليهم ان تكون لديهم معرفة بما يتحتم عليهم ويلزمهم ، وبما يجوز لهم أن يفعلوا فيه حسب مصلحتهم وما يرونه موافقاً لبيئتهم ، وما ينسجم مع رغباتهم ، وان يُطبّقوا فيها ما تملئ عليهم تجاربهم في الحياة، وهذه الأسس والأمر المختلفة بأقسامها المختلفة تقتضى ان يكون وراءها نظام للتعليم والتربية يتولى تهذيبهم وتعليمهم بطرق العمل فيها ، وإن البيئة التي يعيش فيها الانسان انما تساعده في اختيار الخصائص والصفات التي تتفق مع مطالبه ومصالحه و يجد فيها صيانة لكرامته بين الشعوب والأمم، وبيئة المجتمع أيضاً يحمل التأثير في بناء شخصية الانسان والمجتمع وتربيتهما .

منهج العمل :

إن مسؤولية القادة في صياغة شخصية الفرد المسلم صياغة اسلامية. موحدة، وبخاصة في دولة يشكل غير المسلمين الأغلبية فيها . مسؤولية كبيرة وهامة، وليس ذلك عملاً معقداً أو أمراً مستحيلًا حتى يستعصى على المسلمين انجازها بل هو متيسر وسهل ، وان القيام بعملية الصياغة هذه يجب أن يكون منذ زمن الطفولة ، وذلك عن طريق اكابر الأسر والعائلات ، ثم عبر مدارس الأطفال والأحداث ، ثم بواسطة كتب الدراسة ، وبالمنشورات وبالاتصالات الشعبية في نطاق المجتمع العام ، وقد مرّ ذكره في فصول الكتاب، أما القيام بذلك على مستوى الأطفال ، وفي البيئة المنزلية الأولى ،

فقد كان يجرى العمل به في بيوتات المسلمين الأشراف في العهود الماضية ، فقد كانت أمهات الأطفال ، وخالاتهم وجدّاتهم يقمن بصورة بسيطة بتعريفهم بمبادئ الإسلام وعقائده الإسلامية ، بأحوال شخصيات الإسلام المثالية ، بذكر حكايات ذات عبرة من التاريخ بأحاديثهم الليلية للأطفال وعن طريق الأناشيد والترنيمات ، والأساطير في أسلوب يلائم نفسيّتهم وطبيعتهم و تعليمهم كان يبدأ بتعليم الحروف الهجائية وبكلمات القرآن ، وبقراءة الفاظ القرآن عندما كان يكرّر الطفل قليلاً فكان يتولى احد مشائخ الأسرة أو أحد أصحاب العلم المخلصين في البيئة المحلية وفي الحارة تعليم قراءة القرآن الكريم واللغة والخط ويستطرد ذلك إلى مرحلة التعليم الابتدائي ، وبذلك كان يحصل ترسيخ في عقولهم وأذهانهم لما سهل و تيسّر من العقائد وأمور الأخلاق الأساسية بجانب المعلومات الجوهرية واللازمة للحياة ، ولم يكن يؤثر ذلك في حياتهم وقلوبهم فحسب بل كان يجر ذلك إلى رسوخ المعاني الصالحة والصور الكريمة للحياة في أذهانهم ، ومع هذا التعليم المنزلي وما بعده مباشرة كان الأطفال يتقدمون إلى التعليم في مدرسة نظامية ،عصرية كانت أو دينية ، وبذلك كانت تبتدئ سلسلة التعليم النظامي .

ويكون ذلك بمثابة العظم الفقري في بناء حياة كريمة للأمة والشعب ولكن يجب في ذلك ان يستفاد من أحسن ما يمكن من تجارب حاصلة ومن وسائل متيسرة ومن أحدث ما يظهر من اكتشافات في مجال التعليم والتربية بمراعاة حاجة الأمة وكرامتها ، وكلما اشتد الاهتمام بالعمل بذلك استفادت الأمة بالتعليم والتربية ، ووصلت إلى منزلة أمة عزيزة كريمة فاضلة بين الأمم المعاصرة الأخرى .

تأخر المسلمين أخيراً في التعليم وحاجتهم إلى النهوض:

لقد ظل المجتمع المسلم إلى القرن السابع الهجري يتمتع بالتقدم على سائر مجتمعات العالم في مجال العلم والتعليم ، وكانت أوروبا في دياجير الجهل و الأمية متخلفة في الجوانب العلمية والعقلية إلى ان بدأت استفادته من مراكز علم العربية ، فبدأت ترقى شيئاً فشيئاً - فيما بعد - في المجال العلمي والتجريبى ، ولكن من المؤسف جداً ان التباطؤ أو الكسل بدأً يتسربان في مجتمعات المسلمين في نفس الوقت ، ففي جانب استمرت أوروبا في التعليم و اجراء التجارب في الحياة وفي جانب آخر استمر المسلمون في التكاثر والتباطؤ في الدراسة والعلم إلى ان وصل أمم العرب إلى ما وصلت اليه ، و وصل المسلمون إلى ما وصلوا اليه ، وانقلب الوضع وصار الذين كانوا سادة في الماضى عبداً في الحاضر ، ولكن الله سلّم و بدأت تباشير الصحوة الاسلامية والعلمية في العالم وذلك بجهود المسلمين في الآونة الأخيرة ، فالأمل كبير في ان يستعيد المسلمون بعض ما كانوا عليه في الماضى قريباً ولكن يتحتم لذلك ان يتشبثوا بالجهود التعليمية والتجريبية بتنظيم وحكمة .

و تقع على أصحاب الاختصاصات من اهل العلم وخبراء التعليم والتربية مسئولية وضع هذا النظام التعليمى وتطبيقه ، واعداد منهج حكيم له ليكون بناء الأمة على خطوط تحتاج إليها ليسهل لها الوصول إلى أهدافها السامية ومستواها العالى ، ومكانتها العزيزة ، وهو أمر يهتم به كل امة ذات حيوية وغيره ، فتتقدم ببناء حياتها بأحسن طريق يسعها وذلك باستخدام القوى العقلية والأعمال التجريبية وهى تستعين في ذلك بطاقتها المادية

واحكومية ، وتتفجع في ذلك بوسائلها المادية وبأحسن ما يمكن من أساليب
وخطط .

ومن أهم متطلبات الحياة الحديثة للمسلمين الاهتمام بتوسعة وسائل
التعليم والاعتناء بالعلوم الجديدة بوجه خاص وترقيتها واستخدامها فيما تهتم
الحياة المعاصرة، وتقع مسئولية العمل في ذلك على الطبقة المثقفة من المسلمين
بصورة خاصة ، وهى التى تساعد في بناء الحياة العزيزة للأجيال المسلمة
الصاعدة التى تقع عليها مسئولية الوصول إلى الغايات الجليلة .

الغرب مع تقدمه في العلوم إلحادى ومتحجر خلقيا :

ويعرف الجميع بأن الاستيلاء الغربى على بلاد الشرق جاء ببذل
اهل الغرب لمساعدتهم لتحقيق اهداف أمتهم وبلادهم بمجدٍ واجتهادٍ اولا
بدراساتهم وتحقيقاتهم واستكشافاتهم لطاقت العالم وترقيتها ، وبأحدث
الطرق لاحراز الرقى والقوة على الأمم ، فان مصدر مدينة الغرب الراقى
وقوته مرتبط بهذه الجوانب وحصل له في نتيجة ذلك النمو الاقتصادى الذى
اعانه على تأثيره على الشرق ثم استيلاؤه عليه ، و من الجدير بالذكر ان نظام
الغرب الاقتصادى وما يتفرع منه من السلطة السياسية ووسائل القيادة ، وما
يتصل به من مساع ونشاطات إنما يقوم على أساس فلسفته الإلحادية التى
تقوم على مبادئ غير إسلامية بحجة ، وقد تغلغل في أحشائها القمار والربا وقد
جنى بريق ازدهار الغرب الاقتصادى على الإسلام بسبب المبادئ المضللة لهذه
الفلسفة الإلحادية ، فلا بد للمسلمين أن يعرفوا ذلك ليتمكنوا من تجنب من
مساوئها وأضرارها ، وليمكن لهم بذلك القيام بمكافحتها ولا يمكن فهم ما
يملكه الغرب من مظاهر القوة والمدنية والتقدم الدنيوى بدون معرفة جهوده

العلمية وما وصل إليه من قوة اقتصادية وسياسية ويصعب معرفة النتائج السيئة المرتقبة لهذا التقدم والازدهار بدون معرفة الفلسفات التي اختارها الغرب وبنى عليها نظامه الاقتصادي وهيكله السياسي ، وان الاقتصاد والسياسة هما الوسيلتان الكبيرتان اللتان يستخدمهما الغرب للسيطرة على شعوب العالم وينال بهما الزعامة والغلبة في العالم ويعتمد الغرب في ذلك على مؤهلات أبنائه العلمية واهتمامهم بالدراسة والبحث ، وقد جاء تخلف الشعوب الشرقية في كل ذلك من تخلفها في الاهتمام بالعلم وعدم ملائمة مناهجها التعليمية لمقتضيات الحياة الراهنة ومتطلبات التسابق لنيل العزة والغلبة والسبق ، فانه يجب الاعتناء بمعرفة هذه الأمور ومعرفة المقتضيات والمتطلبات والأوضاع التي تمر من خلالها الشعوب والأمم ، ويجب في ذلك أن يكون مناهج التعليم مساعدة لمعرفة كل ذلك .

مراعاة ثلاثة أمور في التعليم :

وان العمل التعليمي يصبح أكثر نفعاً وأحسن نتيجة إذا روعى فيه بثلاثة أمور .

وهي أولاً ان تكون لغة التعليم هي لغة الأم أو شبه لغة الأم للمتعلمين فان التعليم يؤتى اكلا طيبا وكاملا إذا روعى ذلك .

وثانياً : ان تكون لغة الكتب المقررة في المنهج هي نفس اللغة ايضا وهي التي يعرفها ويجيدها المتعلمون . وثالثا ان ترقى لغة البلاد إلى أن تكون صالحة للتعبير عن المعاني العلمية والأدبية الكاملة ، والعلوم المختلفة الراقية ، فانه لا يتحقق الغرض التعليمي كاملا من لغة لا تبلغ إلى صلاحية الأداء الحسن لكل ما تتطلب الحياة العلمية والأدبية ، ولا يمكن تحقيق غرض التعليم

بواسطة اللغة الوطنية إذا لم تكن صالحة لانجاز هذا العمل ولا يجدى التعليم كثيراً إذا كان بواسطة لغة اجنبية دون لغة المتعلمين الأولى ، لأنه لا ينتفع في لغة اجنبية ولا ينجح عن طريقها إلا الطلبة الأذكىء المشغوفون بالعلم ، وأما الطلبة الذين لديهم صلاحية عادية فلا يسعهم أن يحسنوا التلقى والاستفادة في عامة الأحوال ، فلا بد اذن ان يعتنى المعينون بالعلم بتزقية لغة الأم ، حتى تصبح صالحة لحمل جميع العلوم والآداب وأدائها أداء حسنا ، ولعل هذا كان هو السبب في أن التعليم بأرقى مستواه لم يتوسع في البلدان الشرقية قبل استقلالها وسيستمر هذا التخلف مادامت لغة المتعلمين الأولى لا يترقى ويبلغ إلى المستوى الرفيع العالى ، ومن المؤسف جداً ان بلداننا الشرقية لا تزال ترسف تحت وطأة اللغات الأجنبية لأنها لاتزال تحتل مكانة العزة والقبول لدى الشرقيين اليوم ، وعلى العكس من ذلك قد أثمر التعليم ثمرات عظيمة في البلدان الغربية وأقطار الشرق الأقصى ، لأن التعليم في هذه البلدان أصبح بلغاتها الوطنية التي ترقى وبلغت إلى المستوى المطلوب ، ففي اليابان تجرى كل أعمالها في اللغة اليابانية ، وبالعكس من ذلك لا زالت مواد العلوم والطب الحديث تدرس في بلادنا باللغة الأجنبية ، والمطلوب من الطالب يكون أن يتقن أولاً اللغة الأجنبية إن أراد ان يكون مثقفاً ثقافة عالية وبارعاً خبيراً ، وذلك يجعله في صعوبة ما على كل حال لأنه عندما يهتم بتلقى اللغة الأجنبية واتقانها يضعف بطبيعة الحال في لغة الأم العلمية والأدبية ، ويصبح ذلك له عقبة في طريق التعليم ، وذلك يقلل عدد المبرزين والسابقين في مجال التعليم ، وبالعكس من ذلك نجد في البلدان الراقية المتقدمة مؤسسات تعليمية عليا في عدد كبير لتلبي حاجة المتعلمين الكثيرين ، ومثال ذلك في أمريكا ان عمراتها لا تتجاوز ربع عمر ان الهند ، أى مائتين وثلاثين مليون نسمة ، ولكن توجد

فيها ثلاثة آلاف جامعة وما في مستواها من المؤسسات التعليمية العليا - بينما لا تزيد المؤسسات التعليمية العليا في الهند على مائة وخمسين جامعة ، رغم ان عمران الهند أكثر من عمران أمريكا نحو أربع مرات ، وهكذا في البلدان الشرقية الأخرى.

تهيئة التعليم لكل الأفراد :

وامر آخر يجب ان يسترعى انتباه التربويين وهو أنه يجب تهيئة التعليم الابتدائي أو الأصيل إلى نهاية المرحلة الثانوية لكل فرد من المواطنين، حتى لا يبقى احد من أبناء البلاد في مستوى انسان غير مفيد ، وقد اهتمت بذلك البلدان الغربية الراقية ، فألزمت التعليم الى نهاية الثانوية على كل فرد من أفراد البلاد بصورة إجبارية وجعلته مجانيًا حتى لا يبقى عذر لأحد في ذلك ، وهي تقوم بتوفير كافة التسهيلات لهذه المرحلة التعليمية فأصبح بذلك كل فرد من أفراد اوطانها متعلما بقدر الضرورة وصارت نسبة المتعلمين مائة في المائة بوجه عام ، وترقت صلاحية كل فرد من أبناء الوطن من رجل جاهل إلى رجل متعلم يستطيع أن يعرف الطريق الأجدى لتصرف شؤون حياته وحياة أمته .

والتعليم الابتدائي يفتقر بصورة أشد إلى أن يكون في لغة الأم، وذلك لأن اللغة الأجنبية لا تعطى ثمرة مطلوبة في سن الطفولة والمرحلة الابتدائية ، ولاتؤدى دورها الصحيح ، لأنها تزيد عبء لغة زائدة ، وفي سن غير ناضجة.

أهمية القيم والأخلاق ووجوبها :

ومن مسئولية التعليم البدائي أن يتكفل لضرورات المعرفة حسب القيم والأخلاق اللازمة والمعلومات العلمية والإنسانية العامة ، بقدر حاجة الانسان

العادى ، وكذلك المبادئ الدينية ، وأعمالها الواجبة ليتربى على أسس ومبادئ
فاضلة ويتربى على أخلاق الانسان الفاضل السليم في اتجاهاته وسلوكه
وتصرفاته في الحياة ، ولا يكون مثل الماء الذى لا يحمل لونا، فيتلون بلون
الظرف الذى يكون فيه ، وأما التربويون في بلدان الغرب الراقى فإنهم
يهتمون بتزويد الطالب بالمبادئ والأخلاق التى يستحسنونها حسب ما لديهم
من النظريات والفلسفات ملحده ، " أو دينية أو شخصية " ولقد طغت في
مجتمعهم العلمانية والحرية المطلقة على جانب الفكر الدينى ، بل عم انكار
المبدأ الدينى في غالبية أبنائه وهو أمر لا يقبله المسلم بل يرفضه بسبب عدم
ملائمته مع دينه وعقائده .

وعلى كل فإنه يصبح من مسئولية التربويين المسلمين مقاومة
التيارات الملحده الغربية الغازية لأوساط المسلمين في الشرق ، فلقد تسبب
اهمال الغرب للقيم الخلقية والتعاليم الدينية لفوضى خلقية في حياة أفرادهم رغم
التقدم الحضارى والتنظيمى فيها .

أما في الأمة الإسلامية والبلد الإسلامى فان التعاليم السماوية التى
وصلت إلينا عن طريق خاتم الرسل محمد ﷺ هى ينبوع الذى تنبع منه القيم
الخلقية ، وقد قطع فكر الغرب وفلسفته علاقتهما من التعاليم السماوية بصورة
كاملة ، وارتبطت علاقتهما بمنافع الأرض المادية فحسب، وذلك ما لا يصلح
العمل به للأمة المسلمة ، رغم انه في نظر الملحدين من الناس صالح في
مجتمعات العالم .

على كل فانه من الضرورى في تقرير المناهج التعليمية و وضع
الخطط التربوية - أن يوضع النظام التعليمى والمنهج الدراسى بعد تفهم تام
للهدف من التعليم ومقاصده للفرد والجماعة ، وذلك بالنظر إلى خصائص

الفرد والجماعة وقيمهها ومبادئها السابقة وبالنظر الى ضرورات الحياة الراهنة ومتطلبات الفرد والجماعة ، في الظروف الراهنة ، على كل فانه يجب ان يحيط التعليم بجوانب مختلفة من الحياة من فكر وعلم وثقافة وادب ودين والاخلاق .

فمستولية خبراء التعليم والتربية هي أن يراعوا كل ذلك ويهتموا بتزويد الطالب بما هو ضروري من ذلك وبالقدر المطلوب .

فانه يمكن بعد مراعاة هذه الأمور والجوانب المذكورة أن يستفيد الانسان بالتعليم فائدة يستطيع بها أن يكون انسانا نافعا لنفسه ولأمته و لبلاده مؤديا لما يجب عليه نحو أوامر ربه ودينه .

ومن المؤسف ان بلداننا الشرقية لم يتحرر بعد من سيطرة الغرب السياسية والاقتصادية فحسب ، بل لم يُفارق عقولها وقلوبها مركب النقص أمام الحضارة الغربية والإعجاب الخادع بالفكر الغربي ، وما زال فيها تقليد الغرب تقليدًا حرفيًا ، بدون فهم لما في حضارته من خير وشر .

فعلى خبراء التعليم والتربية في بلداننا الشرقية أن يقوموا بوضع النظام التعليمي والمقرر الدراسي مراعين لمميزات أمتهم ومقتضياتها ومثلها وقيمتها حتى تحصل من هذا المنهج التعليمي تلك الفائدة التي اشتدت الحاجة إليها في الأمم المعاصرة ، والاستفادة من الجهود العقلية والتجريبية التي قام بها الانسان المعاصر .



فهرس الموضوعات

٢٣	٢ - العاطفية	٥	كلمة المؤلف
٢٣	٣ - حب الجلة والطرافة	٧	تقديم الشيخ أبي الحسن الندوي
٢٣	٤ - تدهور المعايير الخلقية	١٣	تمهيد
٢٤	معتقدات المجتمع ومقوماتها	١٣	المجتمع البشري
٢٤	المقومات البعيدة	١٣	عملية التعليم
٢٤	الدين	١٤	اللامنهجية في التعليم
٢٤	القومية	١٤	من اللامنهجية إلى المنهجية في التعليم
٢٥	التقاليد الموروثة	١٤	التعليم
٢٥	التنظيم والحياة الاجتماعية	١٤	بداية التعليم المنهجي
٢٥	الزمان	١٥	التعليم في القرآن والسنة
٢٥	نظام التعليم والتربية	١٥	معنى العلم في الإسلام
٢٥	المقومات القريبة		كل مجتمع يهتم بتعليم أبنائه
٢٥	الكلمات وقوتها	١٦	وتربيتهم
٢٦	الأوهام والأفكار	١٧	التعليم في المسلمين
٢٦	التجارب	١٧	اكتساب المعارف من الغرب
٢٧	العقل البشري	١٨	تفاعل التعليم والحياة الاجتماعية
٢٨	آثار الدين والقومية	١٩	مثال من الواقع
	آثار الدين والقومية على أفكار	١٩	الحاجة إلى إدراك المبادئ والطابع
٢٨	الجماعة	٢٠	الطبيعة البشرية الاجتماعية
٢٨	الدين	٢٠	فائدة المجتمع
٢٨	الشعور بعظمة قوة غير مدركة	٢١	الثبات والتغيير في الطبيعة البشرية
٢٩	الدين كقوة عظيمة	٢٢	الطبيعة الاجتماعية عاطفية
٢٩	الصراع بين الدين والعلم	٢٢	ارتباط المجتمع بمعتقداته
٢٩	القومية	٢٢	ضعف جانب المصالح الفردية
٣٠	المصيبة والعواطف القومية	٢٣	١ - الوجدان

٤٠	قصة إبراهيم عليه السلام
٤٠	مسؤولية الأبوين
٤١	التلفزيون وتأثيره
	المدرسة والمرحلة الثانية من عمر
٤١	الطفل
٤١	المنهاج التعليمي والمواضيع
٤٢	مرحلة المراهقة
٤٢	خطورة هذه المرحلة
٤٣	<u>آثار التربية البيتية</u>
٤٣	قدرة الأخذ لدى الطفل
٤٣	الاتصال بالله تعالى
٤٤	العلاقة بالأبوين
	آثار بعيدة المدى لهذين الأمرين
٤٥	الأساسيين
٤٥	ضرورة التأكيد على كلتا الصلتين
	التسريع في التحلي بالأعمال
٤٥	الصالحة
٤٦	حياة المرئيين
٤٦	المعارف العامة
٤٦	آداب المعاشرة
٤٧	الارتباط بالقرآن والسنة
٤٧	امتداد الاتصال بالبيت
٤٨	<u>المجال المدرسي للتربية</u>
٤٨	بداية التعليم المنهجي
٤٨	قسم التعليم الديني
٤٨	منهج آخر
٤٩	أهمية السمع والبصر في التعليم
٥٠	بين الإنسان والحيوان
٥١	<u>الجوانب المهمة في المدرسة</u>
٥١	عملية التعليم في المدرسة
٥١	أبعاد النظام المدرسي
	١ - المعلمين والقائمين على
٥١	التعليم

٣٠	الإخلاص والإيثار في الدين
٣٠	الأثرة والتمييز والمباهلة في القومية
٣١	<u>الأسرة ووحدات الحياة الاجتماعية</u>
٣١	أقسام المجتمع في العالم المعاصر
٣٩	الهيئات الاجتماعية المتحضرة
٣١	١ - الأسرة
٣١	٢ - والمدرسة
٣١	٣ - والمجتمع العام
٣١	المبادئ القبلية للمجتمع
٣٢	مأثرة الإسلام
٣٢	الوحدة المادية
٣٣	الأثرة
	فصل العلم المعاصر في تقليل
٣٣	الوحدات المتفرقة
٣٤	المدرسة
٣٤	فساد النظرية القبلية
٣٤	تأثير القومية
٣٥	<u>مكانة الأسرة وقيمتها في المجتمع</u>
٣٥	دائرة نفوذ الأسرة
٣٦	الأسرة في الحضارة الغربية
٣٦	نظام الأسرة
٣٦	وجهة نظر الإسلام
٣٧	وجهة نظر الغرب
٣٧	فساد هذه الفكرة
	علاقة الأبياء بالأبناء في الحضارة
٣٧	الغربية
٣٨	أمر الإسلام بصلة الأرحام
	<u>قدرة التكبير والاستفادة لدى الطفل</u>
٣٩	<u>وتأثير الأبوين فيه</u>
٣٩	مرحلتان من الطفولة
٣٩	الأعوام الستة الأولى
٣٩	العقل الاستفساري للطفل

٦٢	<u>المناهج والمقررات الدراسية</u>	٥١	٢ - منهاج التعليم ومواده
٦٢	أهمية المناهج التعليمية	٥١	٣ - الطلاب
٦٢	بين المناهج والقيم والطموحات	٥١	المعلم والمشرف على التعليم
٦٢	كانت قضية المناهج في القديم بسيطة	٥٢	مكان المعلم
٦٣	اللغة والأدب	٥٣	الطالب ومواد التعليم
٦٣	تأثير التقدم العلمي الحديث في المناهج الدراسية	٥٣	مواد التعليم
٦٣	تأثير العلم في الدين	٥٤	استمرارية العمل التعليمي
٦٣	محاور المنهج التعليمي	٥٤	محمورية الكتاب
٦٣	١ - الأدب واللغة	٥٤	لا يخلو هذا المنهج من الإيجابيات كذلك
٦٣	٢ - العلوم الإنسانية والاجتماعية	٥٥	المنهج والكتاب وسيلتان
٦٣	٣ - العلوم الطبيعية التجريبية	٥٥	موقف الغرب
٦٤	إقصاء الدين عن الأخلاق	٥٦	حرية الفرد
٦٥	العلوم الإنسانية والاجتماعية	٥٦	تأثيرها في التعليم
٦٥	منهج المدارس العربية الإسلامية	٥٧	تأثير علم النفس في التعليم
٦٥	١ - اللغة والأدب	٥٧	النظر إلى قدرات الطفل
٦٥	٢ - العلوم الدينية والخلقية	٥٧	الفرق بين طفل وطفل
٦٥	٣ - العلوم الاجتماعية والإسلامية	٥٨	<u>لنظريات التعليمية السائدة</u>
٦٦	<u>صلة التعليم بالجوانب البشرية المختلفة</u>	٥٨	النظام التعليمي المركز على الطفل
٦٦	آثار التعليم في الصغر	٥٨	منهج بستالوزي
٦٦	تعليم الكبار	٥٨	استفادة من البيئة
٦٦	مجالات الثقافة	٥٩	منهج فروبيل
٦٦	١ - القلب والروح وهما مركز محبة الخالق والرب والاتصال به	٥٩	روضة الأطفال
٦٧	٢ - العقل الذي يمتاز به الإنسان عن غيره من الكائنات الحية	٥٩	منهج مونتسري
٦٧	٣ - الجسم المادي وما يتصل به	٥٩	عجز النظام التعليمي المركز على الطفل
٦٧	القلب والروح	٦٠	١ - أن تدرس متطلبات الطفل ويركز على مراعاتها وتغطيتها
٦٧	العقل	٦٠	٢ - أن تدرس هواياته وميوله واتجاهاته
٦٨	الجسد	٦٠	٣ - أن تدرس فرديته
		٦٠	خطة دالتون

٨٠	<u>التعبير وأثاره</u>	٦٨	تركيز الديانات على إصلاح القلب
٨٠	الارتباط الاجتماعي باللسان والقلم	٦٩	وجهة نظر الإسلام
٨٠	العلم واللسان	٧٠	الحضارة الحديثة الملحدة
٨٠	التكافل الاجتماعي	٧٠	ضعف جانب العقل وعلاجه
٨٠	التعبير باللسان	٧٠	موقف النظم التعليمية المعاصرة
٨١	الخطابة والكتابة	٧٢	<u>المساجد والمعابد</u>
٨١	عناصر الخطابة	٧٢	دور المسجد
٨٢	المعاني	٧٢	نظام المسجد ومعابد الديانات الأخرى
٨٢	مراعاة عقول المخاطبين	٧٢	فكرة المسيحية
	الكلمات بين إيقاعها الصوتي وتأثيرها	٧٣	فكرة اليهودية
٨٢	المعنوي	٧٣	أفكار الديانات الأخرى
٨٣	الأسلوب والمظهر	٧٣	فكرة الإسلام
٨٤	منهج العرب	٧٣	مكانة المسجد ووظيفته
	الخطابة أداة للتأثير في الوحدة الاجتماعية	٧٤	المسجد نظام شامل
٨٤	الخطابة صناعة	٧٤	أهمية المعابد وفكرة الإله
٨٤	الأسلوب	٧٦	<u>الهيئات والجماعات</u>
٨٥	الخطابة وسيلة دعوية	٧٦	النظام الاجتماعي والوحدات الاجتماعية
٨٥	نموذج من خطابة النبي ﷺ	٧٦	صلاحية التلقي لدى الإنسان
٨٦	الصور التعبيرية الأخرى وأثارها	٧٦	الحياة الاجتماعية ضرورة لا غنى عنها
٨٧	الخطاب التعليمي	٧٧	عادة العرب
٨٧	التذكير والوصية	٧٧	الارتباط الاجتماعي في غير العرب
٨٨	<u>الأدب ونشره</u>	٧٧	منهج الشيوعية
٨٨	إسهام القلم في تربية المجتمع	٧٧	منهج الوحدات الحزبية
٨٨	قبل اكتشاف القرطاس وبعده	٧٨	العصية الحزبية
٨٨	المطابع	٧٨	آثار الثورة الصناعية الغربية
٨٩	الكتب الخطية	٧٨	طبيعة الهيئات العلمية والأدبية والدينية
٨٩	بعد اكتشاف المطابع	٧٩	والدينية
٨٩	ثلاثة توجيهات بشأن الطباعة والنشر	٧٩	النوادي الترويحية
	١ - أن يكون الكتاب قيماً يستحق الطباعة	٧٩	طبيعة الارتباط الاجتماعي
٨٩	٢ - أن يتوفر المال المطلوب لنفقات الطباعة		

١٠١	الصحافة اليومية: دورها وقيمتها
١٠١	الصحافة تقوم مقام مربٍ ناجح
١٠١	دور الصحافة في التجارة
١٠١	الصحافة أداة اتصال شاملة
١٠٢	الشمول
١٠٢	دور العناوين
١٠٢	الأهداف
	<u>الصحافة في النظام الشيوعي</u>
١٠٣	والقاضي
١٠٣	الصحافة في النظام الرأسمالي
١٠٣	النظام الفني للصحافة
١٠٤	النشر والدوريات
١٠٥	الوسائل الإعلامية الأخرى
١٠٥	<u>اللاصقات</u>
١٠٥	الأسس الفنية للاصقات
١٠٦	الصحف الحائطية
١٠٦	اللاصقات كوسيلة للإعلان
١٠٦	الخرائط التربوية
١٠٧	الصحف الحائطية للطلاب
١٠٨	<u>الوسائل الصوتية والبصرية</u>
١٠٨	أهمية الإذاعة
١٠٨	الإذاعة خاضعة للحكومة
١٠٨	بين الصحافة والإذاعة
١٠٨	الإذاعة فن
	التركيز على جانب التسلية والترفيه
١٠٩	في الإذاعة
١٠٩	فائدة التسجيل
١٠٩	الإذاعة المرئية
١١٠	الإذاعة كآلة تربوية
١١٠	البرنامج الثقافي
١١٠	تأثير المسرحيات
١١٠	الدعاية

٣	أن يكون من المتوقع رواج
٨٩	الكتاب حتى تباع غالبية النسخ
٩٠	دور الطباعة والنشر
٩٠	ما الذي يزيد الكتاب انتشاراً ورواجاً
٩١	نشر الكتب الهادفة
٩١	المجامع العلمية
٩١	مشاكل المجامع العلمية
	<u>الكتب الأدبية</u>
٩٣	اللون الأدبي
٩٣	التركيز على الشعور والوجدان
٩٣	التأثير البياني للقرآن الكريم
٩٤	التأسي بالقرآن الكريم
٩٤	الأدب الحسن والأدب القبيح
٩٤	الإمتاع الأدبي
٩٤	الاقتصر على المتعة واللذة
٩٥	الاستمتاع بالمواظف الخسيسة
٩٥	طبيعة الأدب الماجن
٩٥	حقيقة الوجدان وقوته
٩٥	الخطوات الأدبية الجادة
	<u>الصحافة</u>
	الصحافة كوسيلة متواصلة من وسائل
	الإعلام
٩٧	الصحافة وسيلة تربوية
٩٧	الصحافة: المجالات والصحف
٩٧	طبيعة المجالات
٩٧	نظام الصحافة الشهرية
٩٨	مجال الصحافة الشهرية
٩٨	دائرة القراءة والمواد
٩٩	المتعة الأدبية
٩٩	الأهداف الصالحة والفاصلة
٩٩	المنهج السائد
١٠٠	الالتزام بالخطة والافتتاحية

١٢٠	فكرة الدكتور ذاكر حسين	١١٢	<u>الوسائل البصرية</u>
١٢١	المتنلات	١١٢	السينما والافلام
١٢٢	مسابقات الألعاب الرياضية	١١٢	تأثير السينما
١٢٥	<u>الأعياد والمواسم</u>	١١٣	الأثار والاتجاهات الهدامة
	<u>واقع الاستعانة بوسائل التربية</u>	١١٣	منافع الأفلام
١٢٨	<u>في العالم اليوم</u>	١١٣	التلفزيون وتأثيره
	شدة اهتمام الشعوب	١١٤	التسجيل
١٢٩	المتقدمة بوسائل التربية	١١٤	الفيديو
	<u>قلة الاهتمام عند الشعوب الشرقية</u>	١١٥	<u>الوسائل التربوية الأخرى: المكتبات</u>
١٣٠	<u>بالتربية وشدة حاجتها إليها</u>	١١٥	مساهمة المكتبات في نشر العلم والمدينة
	<u>المجتمع الإسلامي وأثر</u>		دور المكتبات في تكوين
١٣٥	<u>التعليم في بناءه</u>	١١٥	المعقول والأفكار
١٣٥	التعليم وفق حياة المجتمع	١١٦	الموقف المحامد تجاه المكتبات
١٣٦	انه واجب كل فرد من أفراد المجتمع	١١٦	المكتبات الشخصية
١٣٩	طبيعة المجتمع المسلم	١١٦	أهمية المكتبات العامة
١٣٧	أساسيات المجتمع المسلم	١١٧	إدارة المكتبات صناعة
١٣٧	الفرعيات	١١٧	الفهرسة
١٣٨	منهج العمل	١١٧	هيئة العاملين في المكتبات
	تأخر المسلمين أخيراً في التعليم	١١٧	المكتبة مدرسة
١٣٩-١٤٠	وحاجتهم إلى النهوض	١١٨	<u>دور الإقامة الاجتماعية</u>
	القرب مع تقدمه في العلوم	١١٨	آثار دور الإقامة الاجتماعية
١٤١	الحادى ومتحرر خلقياً	١١٨	الوحدات السكنية في العصر الحديث
١٤٢	مراعاة ثلاثة في التعليم	١١٨	دور الإقامة
١٤٤	تهيئة التعليم لكل الأفراد	١١٩	الوسائل التربوية في الوحدات السكنية
١٤٤	أهمية القيم والاخلاق ووجوبها	١١٩	خطة صالحة
		١١٩	الوحدة السكنية بمدرسة
		١٢٠	الحاجة إلى الاهتمام والحكمة
			نظام الرحلة الجماعية ودعوة الشيخ.